الأب بولس الياس اليسوعي

خلاصة الدين المسيحي

طبعة ثانية
منقحة ومزيد عليها

منشورات المطبعة الكاثوليكية - بيروت

مَنشورَات المَطبعَة الكاثوليكيَة - بَيروت



مجموعة من الكتب الدينية التي ظهرت بين منشوراتنا

في خطى المسيح
تأليف نصري سلهب

نشيد الكون
تأليف تيار ده شاردن ، تعريب الأب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي والخوري فرنسيس البيسري

شارل ده فوكو رسول الأخوة الشاملة
تأليف جرجس القس موسى

مختصر في علم اللاهوت العقائدي
تأليف لودويغ أوت ، نقله عن الألمانية الأب جرجس المارديني

مع الرب
تأليف مرسال هرتسانس ، تعريب هكتور الدويهي وشاهين كلاّس

كتاب الأيادي الضارعة
تأليف ميشال كواست ، ترجمه الأب هكتور الدويهي

الملحمة الإلهية
تأليف الاسقف فلتن شين ، تعريب الخوري بولس ابو جوده

يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه
تأليف الأب بولس الياس اليسوعي

إدارة الضمير وامراض النفس
تأليف الارشمندريت يوسف فرج

التوزيع : المكتبة الشرقية ، ساحة النجمة ، ص.ب. ١٩٨٦ ، بيروت ــ لبنان

الأب بولس إلياس اليسوعي

خلاصة الدين المسيحي

طبعة ثانية

منقحة ومزيد عليها

منشورات المطبعة الكاثوليكية - بيروت

Imprimatur
Beryti die 15 Novembris 1968

Eustachius J. SMITH, o.f.m.
Vicarius Apostolicus Berytensis

تمهيـــد

قال لي يوماً فريق من الجامعيين القدامى : « نحن بحاجة الى تفهم وحي الانجيل تفهماً يتجاوب ورغباتنـــا المُلِحّة ويتساوق وذهنيتنا التوّاقة الى استقصاء واكتناه كل شيء . غير ان الحركة الدائبة في المجتمع ، والاشغال العائلية والمهنية ، قلّما تترك لنا متّسعاً من الوقت ننقطع فيه الى مطالعة الكتب الدينية التي نحن بمسيس الحاجة اليها لإنارة ايماننا وتغذية حياتنا الروحية .

فهل لك ان تضع لنا موجزاً عن المعتقد المسيحي على مستوى عالٍ نستطيع الافادة منه في اوقات الفراغ » . فاخذت مطلبهم بعين الاعتبار وبعد إعمال الرويّة والتفكير نزلت عنـــد رغبتهم وشرعت اؤلّف هذا الكتيّب الذي ضمنته خلاصة الدين المسيحي العقائدية والاخلاقية . وقد صنّفته فصولاً وجيزة بشكل اسئلة واجوبة فيستطيع القارئ ان يتأمل بكل قضية بمفردها وان يتوقف عليها ما استطاع الى ذلك سبيلاً ثم ينتقل الى سواها . وقد يتمكن من التوقف عن

الدراسة والمطالعة اذا ما دعته الحاجـــة الى ذلك ثم يعود ويلج بسهولة وفي اول سانحة ذاك الجو الدراسي الذي كان قد بدأ به.

وبعد تأليف الكتاب دفعته الى المطبعة الكاثوليكية فانجزت من طبعه ثلاثة آلاف نسخة في العاشر من ايار سنة ١٩٦٥ . اما الآن وقد نفدت هذه الطبعة الاولى. فأراني سعيداً ان انتهزها سانحة لكي اقدّم الى القرّاء الاعزّاء طبعة ثانية مستوحياً من تعاليم المجمع المسكوني الڤاتيكاني الثاني الاخير ما يرغبون ، لا سيما في ما يختص بمصدر الوحي الواحد ورسالة العلمانيين في الكنيسة . لعلي اصبت الهدف بهذه الطبعة الثانية وقدّمت اليهم ما ينشدون .

بيروت — جامعة القديس يوسف   في ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٦٨

بولس الياس اليسوعي

الدرس الأول

في أصول الدين المسيحي

س — ما هو المعتقد المسيحي ؟

ج — المعتقد المسيحي هو الاعتقاد بالإله الواحد الموحى في المسيح .

س — ومن هو هذا الإله الواحد؟

ج — هو الإله الخالق الذي برأ السماء والارض ، الملائكة والبشر ، المُثيب الذي يجازي الانسان على اعماله ، والمنقذ المُخلِّص الذي رحم الانسان بعد سقوطه في الإثم وافتداه وخلَّصه فكان الإله الرحمن الرحيم .

س — على اي شيء يرتكز الدين المسيحي ؟

ج — يرتكز الدين المسيحي على الوحي الذي انزله الله على البشر بواسطة انبيائه ورسله في العهدَيْن القديم والجديد . وقد تمّ تدبير هذا الوحي — كما يعلّم المجمع المسكوني المقدس الفاتيكاني الثاني — بواسطة احداث واقوال مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً جذرياً ، بحيث ان الاعمال التي انجزها الله

في تاريخ الخلاص تظهر وتدعم التعـــاليم والاحداث التي تشير اليها الاقوال . اما الاقوال فهي تعلن الاعمال وتكشف حقيقة السر الكامن فيها . على ان الحقيقة الصميمة ، سواء عن الله ام عن خلاص البشر ، تتجلى في المسيح الذي هو في آن واحد وسيط الوحي بتمامه وملؤه »[1] .

وصل الينا هذا الوحي ، بعضه مكتوب في الاسفار المقدسة التي تؤلّف اجزاء الكتاب المقدس ، وبعضه منقول شفهياً عن طريق التقليد المقدس ، ولكن ليس للتقليد المقدس والكتاب المقدس سوى مصدر واحد ، الا وهو كلمة الله الموحاة للبشر . هذا ما علّم بـــه ايضاً المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، قال : « يرتبط التقليد المقدس والكتاب المقدس ، ويتصل بعضهما ببعض بشكل وثيق . وإذ ينبع كلاهما من مصدر الهي واحد فإنّهما بنوع ما وحدة لا تتجزأ ، وينشدان غاية واحدة . والكتاب المقدس في الواقع هو كلمة الله من حيث انه قد دُوِّن كتابةً بإلهام الروح القدس ، اما التقليد المقدس فهو ينقل كلمة الله — التي عهد بها السيد المسيح والروح القدس الى الرسل — كاملةً الى خلفائهم ، لكي يحفظوها ويعلّموا بها وينشروها بكل امانة ، عن طريق التبشير ، مستنيرين بنور روح الحق . وبذا يتضح ان الكنيسة لا تستقي يقينها بشأن كل الحقائق الموحى بها من الكتاب المقدس وحده ، ومن ثمّ يجب قبول

---

١) المجمع الفاتيكاني الثاني — في الوحي الالهي — الفصل الاول — عدد ٢

وتكريم كل من الكتاب المقدس والتقليد بقدر متساوٍ من التقوى والإجلال »[١] .

س — ماذا يحتوي العهد القديم ؟

ج — يحتوي العهد القديم ما اوحاه الله تعالى وألهمه للبشر من حقائق وسنّة وشرائع بواسطة موسى والانبياء وكاتبي الاسفار المقدسة وهو مدوّن في التوراة والنبوءات والمزامير والاسفار التاريخية والحكمية التي تؤلّف (اجزاء كتاب) العهد القديم .

س — ماذا اوحى الله بواسطتهم ؟

ج — اوحى الله وألهم بواسطتهم انه تعالى خلق البرية من العدم وكوّن الانسان على صورته ومثاله ونفخ فيه عقلاً من عقله وفهماً من فهمه واوجده في حال النعمة والبرارة التي تخوله الحق ان يكون ابناً لله بالتبني يشاركه في حياته الالهية ويرث ملكوته السماوي الى الابد ثم سلّطه على جميع مخلوقاته . غير انه تعالى امتحنه فوضعه في حال تجربـــة كي يختبر طاعته ومحبته له فيكافئه خيراً ان هو احسن الطاعة له .

س — وهل ثبت الانسان امام التجربة ؟

ج — كلاّ ! بل سقط وعصى ربه فارتكب الخطيئة وانسلخ عنه فغضب الله عليه وعاقبه بالامراض والموت وتناول غضبه تعالى عموم ذرية الانسان فيولد اولاده بالخطيئة بسبب تضامنهم مع

---

١) المجمع الفاتيكاني الثاني — في الوحي الالهي — الفصل الثاني — عدد ٩

ابيهم في الجزاء وتدعى هذه الخطيئة الموروثة عن الانسان الاول الخطيئة الاصلية .

س — وهل استمرّ الله ساخطاً على الانسان ؟

ج — كلاّ ! بل رحمه ورفق به ووعده بان يرسل لـه ولنسله مُخلِّصاً يخلّصه من خطيئته ويعيد له حقوق البنوّة التي كان قد منحه اياها في فجر الخليقة .

س — كيف تمّ إعداد البشرية الى مجيء المخلّص ؟

ج — تمّ إعداد الخليقة إلى مجيء المخلّص على الوجه الآتي: اختار الله رجلاً بارًّا من مدينة أور في بلاد الكلدان ما بين النهرين (العراق الحالي) اسمه ابراهيم . اخرجه من بلاده وامره ان يذهب الى ارض كنعان ليقيم هناك فيصنع منه شعباً مختاراً يبشّر باسمه ما بين الامم . اودعه وحياً خاصاً حيث كشف له سر وجوده وذاته الالهية وامره بان ينقل ذاك الوحي الى نسله من بعده . ثم عقد عهداً معه طلب منـه بموجبه ان يحفظ شريعته وان يبتعد عن عبادة الاصنام ووعده ان يؤثر نسله على شعوب الارض كافةً وان يقيم مسيحه ، مخلّص البشرية ، من صلبه . واخيراً شرع الله تعالى يقيم من وقت الى آخر رجالاً روحانيين من نسل ابراهيم ، يفيض عليهم روحاً من روحـه وفهماً من فهمه لينوّروا الشعب ويثقّفوه ويرشدوه الى الطريق المستقيم ويزوّدهم قدرةً من قدرته لصنع المعجزات تأييداً لصحة رسالتهم ، وكان منهم موسى والانبياء .

س — ما كانت الشريعة التي انزلها الله على شعبه بواسطة موسى في جبل سيناء ؟

ج — الشريعة التي انزلها الله على شعبه بواسطة موسى في جبل سيناء هي الوصايا العشر : ١ — انا هو الرب الهك لا يكن لك آلهة اخرى تجاهي . ٢ — لا تحلف باسم الله بالباطـــل . ٣ — اذكر يوم السبت لتقدسه (قدِّس يوم السبت) . ٤ — اكرم اباك وامك . ٥ — لا تقتل . ٦ — لا تزنِ . ٧ — لا تسرق . ٨ — لا تشهد على قريبك شهادة زور . ٩ — لا تشتهِ امرأة قريبك . ١٠ — لا تشتهِ مقتنى غيرك (خروج ٢٠) .

س — ومن هم الانبياء الذين اقامهم الله بعد موسى ليرشدوا شعبه ؟

ج — الانبياء الذين اقامهم الله بعد موسى ليرشدوا شعبه كثيرون منهم يشوع بن نون وصموئيل وناتان وجاد وايليا واشعيا وارميا وحزقيال وميخيا وملاخيا ودانيال وزكريا وغيرهم ...

س — بماذا كانت تقوم مهمة هؤلاء الانبياء ؟

ج — كانت تقوم مهمة الانبيـــاء بان يرشدوا جموع الشعب الى الحق ثم ليتنبـأوا لهم عن مجيء المسيح المنتظر ويكشفوا لهم بعض المظاهر من حياته العتيدة بين البشر وبعض المزايا التي ستتصف بها رسالته كي يذكوا فيهم دوماً شعلة الامل فيحيون منتظرين مجيئه . هكذا تنبـأ اشعيا ثمانية قرون قبل مجيء المسيح عن طريقة ولادتـــه العجائبية وقال بانه سوف يُولَد من بنت عذراء « فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية ها ان عذراء تحبل وتلد ابناً وتدعه اسمه عمانوئيل » (اشعيا ٧/١٤) .

وقال فيه بانه سيكون من سلالة يسّى ابي داود الملك وانــه سيستقر عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح العلم وتقوى الرب » (اشعيا ١١ /٢) . وعيَّن ميخا النبيُ مكانَ ولادته ، بيت لحم قال : « وانتِ يا بيت لحم « أفراتَه انكِ صغيرة في الوف يهوذا ولكن منكِ يخرج لي « من يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ « ايام الازل لذلك يتركهم الى حين تلد الوالدة فترجع بقية « اخوته الى بني اسرائيل ويقف ويرعى بعزة الرب وبعظمة « اسم الرب إلهه فيكونون ساكنين لأنــه حينئذٍ يتعاظم الى « اقاصي الارض . ويكون هذا سلاماً » (ميخا ٥ /٢-٥) .

ووصف ايضاً اشعيا وداعته ورفقــه وطريقة وعظه الأخـَّاذة لهداية النفوس الى الله . قال : « لا يصيح ولا يجلِّب ولا « يُسمع صوته في الشوارع . قصبةً مرضوضةً لا يكسر « وكتّاناً مُدخّناً لا يُطفِئُ . يُبرِز الحكم بحسب الحق لا « يني ولا ينكسر الى ان يجعل الحكم في الارض فلشريعته « تنتظر الامم » (اشعيا ٤٢ /٢) .

وعاد اشعيا النبي وصوَّر مراحل آلامــه ووصفه مزدرىً من الناس ، رجل اوجاع ، حاملاً خطايا العالم بملء اختياره ليكفّر عنها ويمحوها : « انه لقد اخذ عاهاتنا وحمل اوجاعنا « فحسبناه ذا برص مضروباً من الله ومذلّلاً . جُرِحَ لاجل « معاصينا وسُحِق لاجل آثامنا فتأديب سلامنا عليه وبشدخه « شُفينا » (اشعيا ٥٣ /٤) .

وتنبأ زكريا النبي عن خيانة تلميذ المسيح لـه وبيعه اياه بثلاثين من الفضة : « وقلت لهم ان حسن في عيونكم فهاتوا « اجرتي والاّ فامتنعوا . فوزنوا اجرتي ثلاثين من الفضة . « فقال لي الرب ألقِها الى الخزاف ثمناً كريماً ثمّنوني به . « فاخذت الثلاثين من الفضة والقيتهـا في بيت الرب الى « الخزّاف » (زكريا ١١/١٢) .

وتنبّأ عنه صاحب المزمور ١٥ بانه سيقوم حياً من بـين الاموات وان الفساد لن يعتريه : « لانك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تدعُ قدوسك يرى فساداً » (مزمور ١٥/١٠) . والى هذه الآية المع القديس بطرس في خطابه الاول لمـا اعلن حدث القيامة الى جمهور الشعب (اعمال الرسل ٢/٧٢) .

س — هل تحققت هذه النبوءات التي كتبها الانبياء في المسيح قبل ميلاده ؟

ج — نعم لقد تحققت جميعها في حياته وهذا ما يظهر طابع رسالته الالهية .

س — وماذا يحتوي العهد الجديد ؟

ج — يحتوي العهد الجديد الاناجيل الاربعة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا حيث كُتِبَت سيرة السيد المسيح مع معظم تعاليمه واعماله ؛ وكتاب اعمال الرسل ورسائل القديس بولس الرسول ورسائل القديسين بطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا ؛ وكتاب رؤيـا القديس يوحنا .

س – وهل هذه الاناجيل الاربعة وبقية اسفار العهد الجديد التي اقرّتها الكنيسة خالية من التحريف ؟

ج – نعم ان الاناجيل الاربعة وبقية اسفار العهد الجديد التي اقرّتها الكنيسة وصلت الينا بدون تحريف . فانه من الصعب بل من المستحيل تحريف نصوص كانت منتشرة ومتداولة عند آباء الكنيسة منذ القرن الثاني بعد وفاة القديس يوحنا الانجيلي آخر رسول وتلميذ للسيد المسيح وبلغات متعددة ، باليونانية في كنائس الاسكندرية واورشليم وآسيا الصغرى وغاليا (فرنسا) وباللاتينية في كنائس روما وافريقيا الشمالية وبالقبطية في مصر وبالسريانية في سوريا وبلاد ما بين النهرين وبالارمنية (ارمينيا) وبالحبشية (ايتيوپيا) وبالقوطية (بلاد القوط) . ثم ان من يقصد التحريف لا يستطيع أن يحرّف إلا نسخة واحدة فقط طالما ان الطباعة لم تكن بعد موجودة في تلك الأيام . وهل يعقل اذاً أن يصيب التحريف جميع النسخ المتداولة في وقت معاً ؟ فالوصول الى تحريف الاناجيـــل التي كانت منتشرة بكنائس متعددة ببلدان بعيدة بعضها عن بعض وبلغات مختلفة وكثيرة وكلها مخطوطة صعب جداً ، فيبقى ان هـــذه الاناجيل حسب وضعها التاريخي غير قابلة التحريف وبالتالي صحيحة ، سليمة ، خالية من كل شائبة . ومما يدعم قولنا هذا الاكتشاف الاخير الذي قام به السيد مرتان بودمير احد اساتذة اللاهوت في جنيف[1] سنة ١٩٥٦ الذي وجد مخطوطاً من انجيل يوحنـــا آخر رسل السيد المسيح يرقى الى

١) Papyrus Bodmer II. Évangile de Jean, ch. 1-14. *Bibliotheca Bodmerianā*. Cologny, près Genève, 1956.

القرن الثاني اي بعد وفاة يوحنا الرسول بقليل ؛ كان قد كتبه دون ما ريب احد واعظي او مبشري ذاك الزمن على بُرْديّ كمفكرة تذكره بالخطوط الكبرى لانجيل يوحنا . لم يكتب سوى القسم الاكبر منه اي من الفصل الاول الى الفصل الرابع عشر وهو كنص الانجيل الذي وصل الينـــا في النسخة الڤاتيكانية التي ترقى الى القرن الرابع ٣٢٨ والنسخة السيناوية التي ترقى ايضاً الى ذاك العصر والنسخة الاسكندرانية التي ترقى الى القرن الخامس . وهذا المخطوط لا يختلف عن هذه النسخ سوى انه لم يذكر حادث المرأة الزانية التي رحمها السيد المسيح والمذكورة في انجيلنا الحالي ليوحنا في الفصل الثامن :

س — وهل الانجيليون صادقون بما رووه وكتبوه عن المسيح ؟

ج — نعم ان الانجيليين لصادقون بما رووه وكتبوه عن المسيح وذلك لاسباب ثلاثـــة : نظراً لنوع شهادتهم ولموضوع شهادتهم ولصفتهم كشهود .

س — وكيف يظهر صدق شهادة الانجيليين نظراً لنوع شهادتهم ؟

ج — يظهر صدقهم بهذا ان شهادتهم لا ترتكز على جدل منطقي وبراهين عقلية بل عـــلى ما رأوه بأم العين وسمعوه بالآذان ولمسوه بالايدي وقد امرهم المسيح ان يكونوا شهوداً له لا غير : « فتكونون لي شهوداً في اورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة والى اقصى الارض » (اعمال الرسل ١ /٨) . ثم ان شهادتهم ليست بشهادة افراد بل شهادة جماعة المؤمنين بالمسيح ، الكنيسة ، التي كان يربو عدد اعضائها حين صعود المسيح الى السماء

على المئة وعشرين شخصاً (اعمال ١/١٥) . وكان الانجيليون منهم وقد تكلموا باسمهم فلو كانوا قد حرّفوا شهادتهم لكانوا قد كذّبوهم وما احتفظوا باناجيلهم .

س – وكيف يظهر صدق الانجيليين نظراً لموضوع شهادتهم ؟

ج – يظهر صدق الانجيليين نظراً لموضوع شهادتهم ذلك لأنهم يخبروننا عن المسيح الذي عايشوه وتلقوا تعاليمه ورأوه مصلوباً ومائتاً ثم قائماً من بين الاموات يلقي عليهم تعاليمه كمألوف عادته . فمن المحال ان يكون هذا المسيح من نتاج مخيلتهم وهم سُذَّج بسطاء اميّون وانّى لهم ان يتخيّلوا قدّيساً مثله يجالس الخطأة ويؤاكل العشّارين ويصفح عن الزانية في حين يهمّ رجال الدين عندهم ان يرجموها ، وكيف بهم يتصورون مسيحاً يأمر بمحبة الاعداء ويغفر لصالبيه ويسمو بالعقول الى الله في صلاة نزيهة لا تبتغي سوى مرضاته تعالى وتعلّم الكفران بالنفس (راجع الصلاة الربية : الابانا) . ويستحيل ايضاً ان يكون هذا المسيح من وحي اليهود واليهود انتظروه مسيحاً عزيز الجانب يبسط سلطانهم على العالم اجمع وقـد خابت امانيهم فيه لما رأوه معلقاً على الصليب . ويستحيل اخيراً ان يكون هذا المسيح من وحي اليونان ، واساطيرهم مشحونة باخبار ابطال وعباقرة رفعوهم الى مصاف الآلهة لشغف الشعب بهم ولم يكن بمقدور شعرائهم ان يتخيّلوا إلهاً ينحدر من السماء ليتأنس ويبذل نفسه ويُصلَب رأفةً بالبشر الى حد هذا النوع .

س — وكيف يظهر صدق الانجيليين نظراً لصفتهم كشهود ؟

ج — يظهر صدق الانجيليين كشهود لأنهم يتصفون بالبساطة والطبعية . لقد رووا ما عاينوا وشهدوا واثبتوا المشاهد في اماكنها وظروفها بلا تزويق ولا تنميق ، ودليلنا على ذلك طريقتهم في سرد الحوادث والاقوال : « قال يسوع .. اجاب يسوع .. خرج يسوع .. الخ . » راجع مثلاً شفاء المسيح لمقعد بيت حسدا (يوحنا ٥) او تهدئة البحر المضطرب (متى ٨) او احياءه لابن ارملة نائين من الموت (لوقا ٧) . ولا سبيل الى القول ان الانجيليين تواطأوا على كتابة الانجيل لأن كلاً منهم نظر الى المسيح نظرةً خاصة استوعب على ضيائها كل تعاليمه واعماله وكتب لفئة معلومة من الناس ؛ وقد جاءت اناجيلهم مختلفة النصوص ولكنها متوحدة الجوهر . ولنفرض انهم نافقوا وكذبوا — وما من كاذب عفواً — فما الذي تراه يجرُّ عليهم كذبهم من مغانم ؟ هل تراه يجر عليهم المال ؟ وقد كفروا به بلسان بطرس القائل ليسوع : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك » (متى ١٩ /٢٧) وعاشوا عيشة مشتركة (اعمال الرسل ٤ /٥) من كد ايديهم (اعمال الرسل ٢٠ /٣٥) في الفقر والشظف . هل تراه يجرُّ عليهم الجاه ؟ وقد طلّقوا الجاه والعظمة والاهل والاوطان وارتضوا الجوع والعطش والعري والامتهان وعرّضوا بانفسهم للموت لاجل الكرازة بالانجيل (١ كورنتس ٤ /١٠) ؟ وهل تراه يجرُّ لهم المجد العالمي ؟ وقد كفروا بالامجاد العالمية : ما انكروا صفة اصلهم واقرّوا انهم صيّادو سمك ، وما خجلوا من الاعتراف بغلظة عقولهم (متى ٨ /٢٦) وباحوا بخوفهم وبهربهم

في بستان الزيتون ، وما أنِف مرقس من ذكر خيانة معلمه بطرس ليسوع (مرقس ١٤ و١٥) . وهذه كلها معايب يأنف من ذكرها مبتغو الامجاد العالمية . واذ سلّمنا جدلاً ان الرسل حرّفوا الانجيل فيكون المسيح قد فشل واخفق في مهمته ، والله عينه هو المسؤول عن هذا الفشل والاخفاق لأنه من جهة يكون قد ارسل مسيحه وعهد اليه برسالة روحية قوامها خلاص البشر ؛ ومن جهة ثانية ترك هذه الرسالة عرضةً لتزييف هو مسؤول عنه . نزّه تعالى عن مثل هذا الشطط .

س — هل ظهرت اناجيل مزيّفة مقابل الاناجيل الحقيقية القانونية الاربعة ؟

ج — نعم لقد ظهرت اناجيل مزيّفة مقابل الاناجيل الحقيقية القانونية الاربعة ، بعضها قديم العهد ما بين القرن الثالث والسادس : انجيل يعقوب ، انجيل الطفولة او العربي الذي كان متداولاً في جزيرة العرب في القرن الخامس ، انجيل نيقوديموس ، انجيل اندراوس ، انجيل برتلماوس ، انجيل تداوس ، انجيل يهوذا الاسخريوطي ، انجيل متياس ، انجيل فيلبس وانجيل بطرس : كان يؤلفها البعض من المسيحيين الخوارج لتدعيم وجهة نظرهم وينسبونها الى تلاميذ المسيح ليتخذوا منهم قوة حجتهم . وبعضها حديث العهد كانجيل برنابا مثلاً الذي يرقى الى اواخر القرن الخامس عشر او الى اوائل القرن السادس عشر .

س — ما هو انجيل برنابا ومن هو مؤلفه ؟

ج — لقد تضاربت الآراء حول مؤلف انجيل برنابا . فقال بعضهم

ان مؤلفه احد مسلمي الاندلس الذين أُرغموا عـلى اعتناق المسيحية او على ترك البلاد الاسبانية بعد سقوط غرناطة بيد الاسبانيين في اواخر القرن الخامس عشر . وقال غيرهم ان مؤلفه راهب مسيحي يُدعى الاخ « مارينو » ايطالي الاصل، ترك الرهبانية واعتنق الاسلام في اوائل القرن السادس عشر وقد ألّف هذا الانجيل غيرةً منه على الدين الجديد ؛ وقد نسب انجيله الى برنابا احد رفاق بولس الرسول في الرسالة والقبرسي الاصل لكي يضفي عليه جلال القدم ويدعم نظريته . وهذا الرأي الاخير هو الاصح لأن النّصّ الذي وصل الينا هو نصٌّ ايطالي يدل على انه وضع مباشرة بالايطالية ولم ينقل اليها من الاسبانية . عُثِر على هذا المخطوط لاول مرة سنة ١٧٠٩ في امستردام بهولندا وطُبع لاول مرة بالانكليزية في في اوكسفورد ببريطانيا سنة ١٩٠٧ وتناولته جريدة المنـار المصرية في القاهرة بشغف لاول وهلة وعلّق عليه رشيد رضا واعوانه بحيث وجدوا فيه دعامة جديدة للاسلام ، ولكنهم ما لبثوا ان نبذوه بعد ان تبيّنوا ما فيه من الاساطير والخرافات والاخطاء الجغرافية والتاريخية الفظيعة المنافية للاسلام .

س – ما هو موضوع انجيل برنابا ؟

ج – موضوعه العام هو ان يسوع المدعو المسيح لم يُرسَلْ من الله إلا ليهيّئ مجيء محمد وانه ليس المسيح الحقيقي لكن المسيح الحقيقي هو محمد مؤسس دين الاسلام .

س — ما رأيك بانجيل برنابا وكيف تنظر اليه ؟

ج — ان للنقد نوعين : الخارجي والداخلي . فمن جهة النقد الخارجي ليس لدينا مخطوطات او تراجم كثيرة لانجيل برنابا حتى نقابل ما بينها ونبيّن الغث من السمين . فنحن امام مخطوط واحد كتب باللغة الايطالية في القرن السادس عشر ووُجِد في اوائل القرن الثامن عشر لكننا نستطيع القول بان سكوت المؤرخين وعلماء الكلام المسلمين على الاطلاق وسكوت العلماء المسيحيين والكنيسة عن هذا الانجيل خلال تلك القرون الطوال لدليل قاطع على عدم وجوده قبل القرن السادس عشر . اجل ، هل من المعقول ان يكون علماء الكلام في الاسلام قد تداولوه في القرون الخوالي وسكتوا عنه دون ان يعلقوا عليه ، لا سيما وانه سلاح ماضٍ بايديهم لدعم معتقدهم . زد على ذلك ان المسلمين يعتقدون بالاسناد والاسناد لم يذكر شيئاً عن برنابا . وهل يعقل ان تكون الكنيسة قد تداولته وسكتت عنه دون ان تدرجه في لائحة الاناجيل المزيّفة وتحرم استعماله ؟ يبقى اذن امامنا النقد الداخلي فقط لهذا المخطوط . وهنا نجده بعيداً جداً عن الحقيقة . لقد تكلّم على خلق العالم وعلى الاسلام ولا ندري من اين اتخذ تلك المصادر التي لا تمت بشيء الى تعاليم القرآن ولا الى الحديث او السُنّة ولا نعثر البتة على مصدر جاء فيه ما جاء في انجيل برنابا ان الشهادة الاسلامية «لا إله الاّ الله ومحمد رسول الله» مكتوبة على باب الجنة وقد كُتِبَت ايضاً على اظافر آدم الانسان الاول . ولا نجد ايضاً مصدراً قيل فيه ان الانسان

جُبل من بصاق ابليس على التراب وان صرة الانسان الموجودة في بطنه من اثر بصاق ابليس على التراب ومن اوساخ الخيول على باب الجنة (فصل ٣٩) . تلك لعمري اساطير وخرافات خليقة باساطير سندباد البحري وقصص الف ليلة وليلة .

واذا ما انعمنا النظر في نظرية انجيل برنابا — وهو مبني على نظرية واحدة تهدف الى هذا الغرض : « ان المسيح سيولَد من ذرية اسماعيل وان يسوع الناصري ليس المسيح انما أُرسِل ليُعِدَّ سبل المسيح الحقيقي الذي سيكون محمداً » — رأيناها لا تتفق والمعتقد الاسلامي الاّ من ناحية واحدة فقط اي ان المسيح بشّر بقدوم محمد ؛ وفي غير ذلك فانها تنحرف عنه كل الانحراف ولا تؤدي له الدعامة المنشودة ، ذلك لأن القرآن أقرَّ ليسوع ، عيسى بن مريم ، بلقب المسيح : « واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح، عيسى بن مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين » (سورة آل عمران : ٤٤) . وزد على ذلك ان لا القرآن ولا الحديث ينسبان الى محمد لقب المسيح كما يدعي انجيل برنابا ؛ ثم ان مؤلف انجيل برنابا على ما يبدو يجهل كل الجهل جغرافية فلسطين وتاريخها وعادات اليهود في زمن ظهور المسيح وكيف يجهل ذلك وهو يدعي انه رافق السيد المسيح كباقي التلاميذ وان المسيح امره بتصحيح اخطائهم عندما يشطون ويضلون وانه كلّفه بكتابة الانجيل الصحيح الخالي من كل شائبة . وهل كان الانجيليون الاربعة يجهلون جغرافية فلسطين وتاريخها وعادات المواطنين في ذاك الزمن ؟ ألم تأتِ اناجيلهم صورة

ناطقة للبيئة التي عاش فيها المسيح ؟ هكذا نرى مؤلف انجيل برنابا يجعل مدينة الناصرة على شاطئ بحيرة طبرية (فصل ٢٠ وفصل ١٤٧–١٥١) بينما تبعد الناصرة عن البحيرة المذكورة نحو عشرين كيلومتراً وهي ترتفع عنها اكثر من ستمائة متر ، ويجعل كفرناحوم مدينة جبلية بينما هي عكس الناصرة على شاطئ بحيرة طبريـــة (فصل ٢١) ويجعل مدينة صور « وجاءت الى تخوم صور » على ضفاف نهر الاردن بينما هي مرفأ على ساحل فينيقية (لبنان الحالي) تبعد نحو مئتي كيلومتر عن نهر الاردن . وكثيراً ما تراه يقول « وركب يسوع السفينة ومضى الى اورشليم » فهل تكون اورشليم مرفأ على البحيرة ام على البحر الابيض المتوسط ؟ ويا لها من اخطاء جغرافية جسيمة ! اما اخطاؤه التاريخية فلا تقل جسامة عن الجغرافية . فالفريسيون في عرفه رهبان متوحدون يسكنون اورشليم يربو عددهم على مئة الف راهب بينما كانوا بالواقع متزوجين يسكنون المدينة كباقي الناس وقد دعوا بالفريسيين « المنعزلين الاحرار » لشدة تمسكهم بالتقاليد الموروثة عن الجدود وميلهم الى طلب القداسة من الطقوس الخارجيـــة كالصوم والصلاة والغسل وما الى ذلك ... ووصفه الى النظام السياسي القائم آنئذٍ بالبلاد مشحون بالاخطاء (راجع دراستنا عنه في كتابنا : يسوع المسيح ، الطبعة الثانية) .

ثم ان المؤلف تكلم على خطب يسوع ومواعظه في فترة الصوم (فصل ٩١ – ٩٨) وهذا خطأ جسيم لأن فترة الصوم الاستعدادية لعيد الفصح هي من وضع الكنيسة لم تكن متبعة

في ايام المسيح . وذكر ليسوع خطاباً عن الخطايا الرئيسية السبع : الكبرياء ، والحسد ، والدعارة ، والبخل ، والكسل ، والشراهة ، والغضب (فصل ١٣٥) ومن المعلوم ان تقسيم الخطايا على هـذا الشكل حديث العهد يرقى الى لاهوتيي القرون الوسطى . وجملة القول ان ذهنية مؤلف انجيل برنابا هي ذهنية رجل اوربي غربي تشبع عادات القرون الوسطى في اوربا ولاسيما اوائل عصر النهضة (القرن الخامس والسادس عشر) وانجيله شبيه بقصص الف ليلة وليلة جمع اليها بعض الحقائق التاريخية والتعاليم المأخوذة حرفياً عن الترجمة اللاتينية للاناجيل القانونية الاربعة المعروفة بالترجمة العامية (La Vulgate).
فلم يخدم الاسلام بذلك الكتاب كما كان يزعم لأنه عزا اليه ما كان يخالف تعاليم القرآن والحديث والسُنَّة ونسب اليه من الاساطير والخرافات ما يشجبه المسلمون ويأباه الذوق السليم ؛ ولم يُسئ الى المسيحية بشيء فقد طالما لاقت على كرور الزمن من تلك الاسهم الطائشة التي لم تجرحهـا بشيء وقد ارتدت دوماً الى نحور راشقيها من حيث لا يعلمون ، فالحقيقة لا تخشى الكذب . فمؤلف انجيل برنابا انما اساءَ الى نفسه فقط بحيث جاء بعمل كله كذب وزور وبهتان .

الدرس الثاني[1]

المسيح رسول السماء

س — كيف تم ظهور المسيح على مسرح الوجود حسب نصوص الانجيل ؟

ج — تم ظهور المسيح على مسرح الوجود حسب نصوص الانجيل على الوجه الآتي : في القسم الثاني من ولاية اوغسطوس قيصر (اوكتافيوس)[1] امبراطور روما وفي سنة ٧٤٩ من تاريخ تشييد مدينة روما وفي السنين الاخيرة من ولايـــة هيرودس الاول ملك اليهودية ارسل الله الملاك جبرائيل الى مدينة صغيرة في الجليل تُسمّى ناصرة الى بكر عذراء تُدعى مريم ، مخطوبة لرجل اسمه يوسف من سلالة داود الملك . فما ان دخل اليها ملاك الرب حتى بادرها التحية قائلاً لها : « السلام عليكِ يا ممتلئة نعمة الرب معكِ . مباركـــة انتِ في النساء . . . » ولما رآها مضطربة هدّأ من روعها « واستطرد « قائلاً : لا تخافي يا مريم فانكِ نلتِ نعمةً عند الله وها « انتِ تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع . وهذا سيكون

---

١) اوغسطوس قيصر اوكتافيوس (٦٢ ق م — ١٤ م) .

« عظيماً وابن العليّ يُدعَى وسيعطيه الرب الاله عرش داود
« ابيه ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه
« انقضاء » (لوقا ١ /٢٦-٣٨) .

س — الم تستغرب مريم هذا الامر ؟

ج — لقد استغربت مريم هذا الامر وقالت للملاك : « كيف يكون هذا وانا لا اعرف رجلاً ؟ » اي كيف يتم هذا الحبل وانا لا ازال بكراً عذراء ؟ فاجابها الملاك وقال لها : « ان الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللكِ ولذلك فالقدوس المولود منكِ يُدعَى ابن الله » .

س — ولماذا اراد الله ان تكون مريم عذراء وبالوقت ذاته مخطوبة لرجل قبل ان تكون اماً للمسيح ؟

ج — اراد الله ذلك لاسباب عديدة منها : ١ — ليكون يوسف خطيبها ستاراً لها فيظنه اليهود بعلها واباً للمسيح ولا يرجموها عند وضعها ابنها البكر ؛ ذلك لان المرأة التي تلد ابناً ولا يُعرَف ابوه تُعدُّ زانية فترجم بالحجارة حتى تموت ، كما جاءَ بشريعة موسى (تثنية الاشتراع ٢٢ /٢٠-٢٤)[1] . ٢ — لكي تجد مريم معيناً لها يعمل على كسب معيشتها ومعيشة ابنها وقد كان محظوراً على المرأة وقتئذ ان تظهر في المجتمع وتعمل على كسب معيشتها كما هو شأنه اليوم . ٣ — كي تُعرَف سلالة المسيح حسب الجسد انه من نسل داود الملك كما جاءَ في وحي الانبياء (متى ١ /١-١٧) .

١) التلمود (الميشنة) السنهدريم ٧-٩ (كتاب تفسير الشرائع والعادات اليهودية) .
التلمود (النسخة البابلية — السنهدريم ٦٦ ب (الحجارة) » ») .

س — وماذا كان من امر يوسف خطيب مريم ، فهل كاشفته بامرها ؟

ج — كلاّ ! بل كتمت امرها تاركةً لله تدبير حياتها ولهـذا لما اوشكت ان تكون أماً رأى ذلك يوسف وارتاب من امرها وبما انه كان رجلاً باراً ومتيقناً من فضيلتها همَّ بتخليتها سراً ، فظهر له للوقت ملاك الرب وطمأنه بدوره قائلاً له :

« يا يوسف بن داود لا تخف ان تأخذ امرأتك مريم فان
« المولود فيها انما هو من الروح القدس وستلد ابناً فتسميه
« يسوع لأنه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم . فعمل
« يوسف بما امره الملاك فجاء بامرأته الى بيته ، على انه لم
« يعرفها فولدت ابنها البكر » (متى ١ /١٨–٢٥) .

س — اين ولدت مريم ابنها يسوع المسيح ؟

ج — ولدت مريم ابنها يسوع المسيح في بلدة بيت لحم من اعمال اليهودية . ذهبت لتسجيل اسمها في سجل الاحصاء مع يوسف خطيبها في بيت لحم مسقط رأس داود الملك ، إئتماراً بامر اوغسطوس قيصر القاضي باجراء احصاء عام في سائر انحاء الامبراطورية الرومانية ومحمياتها ومستعمراتها ، وكانت اليهودية وقتئذ محمية رومانية ؛ وكان ان قد تمت ايام ولادتها فولدت ابنها يسوع في كهف خارج البلدة ولفّته واضجعته في مذود لأنها لم تجد لها منزلاً بسبب اكتظاظ البلدة بالسكان الذين تقاطروا اليها من كل حدب وصوب للغرض نفسه .

س — لماذا وُلِد المسيح بحال فقرية من هذا النوع ؟

ج — وُلِدَ المسيح بحال من الفقر على هذا النوع حتى يعلن برامج الفداء منذ دخوله الى العالم : التجرد من المادة ، التكفير عن عبادة المال ، اعطاء الاولوية للروح على المادة، والسعي بطلب السعادة الابدية التي لا تفنى .

س — اين قضى المسيح حياته على الارض ؟

ج — قضى المسيح القسم الاكبر من حياته على الارض في مدينة الناصرة بالجليل الى ان بلغ الثلاثين من عمره ، فكانت حياته في تلك الفترة حياة طاعة وصلاة وشغل كادح لأنه كان يحترف النجارة كمربيه يوسف . وكان كلّما تقدّم في السن ظهرت فيه علائم الحكمة والقداسة .

س — ماذا صنع المسيح لما بلغ الثلاثين من عمره ؟

ج — لما بلغ المسيح الثلاثين من عمره ترك الناصرة واختلى في برية الاردن مدة اربعين يوماً طواها على الصوم والصلاة استعداداً للقيام برسالته . ثم اخذ يعتلن ويقول انه رسول السماء ارسله الله ، الآب السماوي ، الى العالم ليكرز بانجيل التوبة لمغفرة الخطايا ، وطفق يختار تلاميذه ليعاونوه في بث دعوته وفي تأسيس الكنيسة .

س — من هو الرسول ؟

ج — الرسول هو كل شخص موفد من قبل شخص ذي مكانة رفيعة الى شخص آخر يحمل اليه رسالة اما خطية واما شفهية أُوفِد

لأجلها واذا كان هذا الرسول موفداً من قِبَل شخص رسمي ، رئيس حكومة او دولة ليتكلم باسم حكومته ، يُدعى سفيراً ، فيزوّد عادةً برسالة خطية تحمل اختام الدولة وتوقيع رئيسها — تُدعى اوراق الاعتماد — يبرزها لدى مقابلته رئيس الدولة الموفَد اليها ليثبت صحة بعثته التي تخوّله حق التكلم والتفاوض باسم حكومته .

س — وكيف تكون رسالة الله للبشر بواسطة رسوله ؟

ج — لن تكون رسالة خطية — والله روح محض — لكنه تعالى يزوّد رسوله برسالة شفهية تنطوي على ما اسمعه واظهر لـــه ليعلمه للبشر ويطلب اليهم ان يؤمنوا به . ورسول الله ان لم تدعم اقواله اعمال ظلت رسالته مظنة للريبة لدى الناس وذلك لسببين :

١ — لأنه يأتي ليقوّم اعوجاج النـــاس ويهذّب اخلاقهم ويقدّس نفوسهم ، وهذا لا يتم الا اذا كان هو عينه مثالاً حياً لنبل الاخلاق وقداسة السيرة .

٢ — ولأنه يطلب من النـــاس الايمان وهم لا يؤمنون ولا يجرؤون على ان يربطوا مصيرهم بمصيره ويجازفون بنفوسهم في سبيله ما لم تتوافر لهم ضمانة قوية يتخذونها من اعمال هذا الرسول وقداسته . فيؤمنون عند ذاك دون ضغط ولا إكراه . لذلك ينبغي ان يكون الرسول رسولاً وشاهداً معاً فيسمع الناس اقواله ويحتذون مثاله . هذا ما اشار اليه السيد المسيح في مستهل رسالته : « اننا ننطق بما نعلم ونشهد بمـــا رأينا »

(يوحنا ٣ /١١) . وقال في اختتامها امام بيلاطس الحاكم الروماني :
« انما اتيت لاشهد للحق وكل من كان من الحق يسمع صوتي » (يوحنا ١٨ /٣٧) .

س – وكيف يشهد الله لرسوله ؟

ج – بعد ان يؤدي الرسول شهادة لله امام البشر باعماله على صدق ما يقول يشهد له الله بدوره فيمده بنوره العلوي ويعصمه من الخطأ ويقيه الضلال فتسقط عنه الخيطة والريبة وعند ذاك يصدقه الناس المقال ، علماً منهم انه انما يتكلم باسم الله ، والله منزّه عن الخطأ على ما قال المسيح : « الذي ارسلني هو حق والذي سمعته منه بــه اتكلم في العالم » (يوحنا ٨ /٢٦) .

س – ما هي اوراق الاعتماد التي يزوّد الله بها رسوله ويشهد له بها انه موفد من قبله ؟

ج – ان اوراق الاعتماد لكل رسول يدّعي حق الكلام باسم الله ثلاث : القداسة ، المعجزات والنبوءات . فالقداسة تدل على ان الله وضع صلاحه وبرّه في شخص رسوله ، والمعجزات تدل على انه تعالى وضع قدرته تحت تصرفه ، والنبوءات تبيّن انه تعالى اطلعه على اسراره ومنحه علماً من علمه .

١ – قداسته

س – ولماذا تظهر القداسة صلاح الله في شخص رسوله ؟

ج – تظهر القداسة صلاح الله في شخص رسوله لأنه وحده تعالى قدوس اي منزّهٌ عن الإثم والخطيئة . اما الانسان فبعد ان

عصفت به بعد الخطيئة الاصلية ميول منحرفة واهواء جامحة اصبح معها يميل الى عبادة المال والانغماس في الملاذ الحسية ولا سيما الجنسية منها ، وحب السيطرة والزعامة وغيرها ، باتت تتعذر عليه القداسة ان لم يؤتِه الله مدداً خاصاً للحصول عليها. وهذه القداسة تقطع على الرسول الكاذب مجال التمادي في كذبه ونفاقه على الحق . فهو وان خدع الناس حيناً من الزمن لا يلبث ان ينكشف لهم امره بما يرشح اليهم من سوء دخائله فتأتي اعماله ولو بالغ في اخفائها نقيض اقواله . اما القداسة الحقة فهي دعوة مثمرة الى الصلاح على حد قول الفيلسوف برغسون : «حسب القديسين ان يكونوا فان وجودهم مناداة الى الصلاح » . وقداسة الرسول تتوطد على قدر ما يجتنب روح العالم ويقتدي بالله ويحيا فيه (راجع كتاب : يسوع المسيح : شخصيته ، تعاليمه — الطبعة الثانية) .

س — وكيف ظهرت القداسة في حياة المسيح وكانت شهادة له من الله على صدق رسالته ؟

ج — ظهرت القداسة في حياة المسيح وكانت شهادة له من الله على صدق رسالته بانه ما دنّس نقاء كفّه مال ، ولا لطّخ طهارة نفسه شهوات ، ولا عكّر صفاء نزاهته رغبة في مجد عالمي زائف ، ولا استجرّ يوماً الى الروح الانتهازية والوصولية التي افسدت على الكثيرين من المصلحين ما خلّفوه من كريم المآثر وقاموا به من جليل الاعمال .

س — وهل الانتهازية والوصولية محك لاستجلاء قداسة الرسول ؟

ج — نعم ان الانتهازية والوصولية محك لاستجلاء قداسة الرسول لأنها تزيّن له ان يستخدم الوسائل المريحة لانجاح رسالته كالدهاء والسياسة والنفوذ والقوة ، حتى اذا ما استجر لشيطانها انحرف عن رسالته الروحية دون ان يدري وطلب بعد ذاك الزعامة والمجد والسلطان العالمي . فنعمة الله وحدها قادرة على ان تقي الرسول خطر الانتهازية والوصولية بما يفيضه تعالى في نفسه من برٍّ وصلاح وقداسة . ولهذا تبقى القداسة ابداً علامة حقيقية لصدق رسالة الرسول .

س — وكيف قاوم المسيح الانتهازية والوصولية وتغلب عليهما ؟

ج — قاوم المسيح الانتهازية والوصولية وتغلّب عليهما لمـا جرّبه الشيطان ثلاثاً بعد صيامه الاربعيني في البرية حيث زيّن له ان يستخدم الوسائل المريحة لنشر ملكوت الله كالنفوذ والقوّة والدهشة والدهاء والسياسة بدلاً من الوسائل المضنية كالصوم والصلاة (متى ٤ ولوقا ٤) ؛ ثم لمّا جرّبه تلاميذه انفسهم ومانعوه عن متابعة قصده على تقدمة ذاته الى الصلب لافتداء العالم (متى ١٦) ؛ واخيراً لما جرّبه جمهور الشعب وارادوا ان يختطفوه وينصّبوه ملكاً عليهم رغماً عنه ليأتمروا بأمره ويخضعوا لسلطانه ويؤمنوا برسالته . فكانت فرصة سانحة امامـــه للاقلاع عن الصلب والعذاب ونشر رسالته بالوسائل المريحة . اما هو « فانصرف الى الجبل وحده » يقول الانجيل ، متهرباً منهم (يوحنا ٦ /١-١٦) .

س – وهل من علائم اخرى عن قداسة المسيح ؟

ج – نعم ان هنالك علائم اخرى عن قداسة المسيح منها انه اقتدى بقداسة الله على غير ما تعوّد القديسون اولياء الله الاقتداء به. فهؤلاء كانوا يعانون للوصول الى القداسة كفاحاً مريراً شاقاً حده حد الحياة ويطهّرون انفسهم بالندامة والانسحاق وطلب الغفران ، لأن الانسان كلّما اقترب من الله شعر بحقارته وفي ساعة الموت احسّ بالمخافة ترعده ؛ اما المسيح فما شعر يوماً بحاجة الى طلب المغفرة لنفسه ولا ندم في حياته على سيئة اتاها ولا اضطرب لدنوه من الله ، لكنه عالج سكرات الموت على الصليب واسلم روحه مطئن الضمير الى قيامه برسالته خير قيام فقال مخاطباً الله اباه : « يا ابتاه بين يديك استودع روحي » (لوقا ٢٣/٤٦) .

وقد اقتدى المسيح بقداسة الله بحيث اتمّ ارادته وجعلها غاية حياته وهو القائل : « لاني نزلت من السماء لا لاعمل مشيئتي بل مشيئة الآب الذي ارسلني » (يوحنا ٦/٣٨) . وقد كان تتميمها غذاءه الروحي : « ان طعامي ان اعمل مشيئة من ارسلني » (يوحنا ٤/٣٤) . ولقّن تلاميذه ضرورة اتمامها . واخيراً عاش المسيح قداسة الله باتحاده به المتواصل في صلاة لا انقطاع لها ، في الصبح والنهار والمساء والليل ، وقت الفرح والألم (متى ٤ مرقس ١/٣٥ ، لوقا ٤ و٦/١٢ ، متى ١١/٢٥ و١٤/٢٢ ، يوحنا ١٦/٣٢ و١٧ ، لوقا ٢٢/٤) . واذا قارنّا صلاة المسيح بصلاة الآباء والانبياء القديسين وجدناها تفوق صلاتهم سمواً وبهاءً . ان صلاتهم صلاة خاطئٍ يستصرخ الله ليتناسى آثامه فيقول

مع داود النبي : « ارحمني يا الله بحسب رحمتك وكمثل كثرة رأفتك امحُ مآثمي » (مز ٥٠) ، وصلاة بائس يلتمس التعزية من الله ، في حين ان صلاة يسوع كانت انشودة تهليل وهتاف شكر يصعدها باسم البشر نحو ابيه السماوي: «اشكرك يا ابتِ ربَّ السماء والارض لانك اخفيت ذلك عن الحكماء وكشفته للاطفال » (متى ٢٥/١١) ؛ وهي حديث الابن لابيه يدور في جوٍّ من الحب والثقة المتبادلة (راجع صلاته الكهنوتية في العشاء السري : يوحنا ١٧) .

س — من هم شهود قداسة المسيح ؟

ج — ان شهود قداسة المسيح لعديدون منهم المندوب السامي الروماني على فلسطين بيلاطس البنطي الذي بعد ان استنطقه قال انه بريء وليس فيه علة تستوجب الموت ؛ ثم امرأة بيلاطس ذاته التي ارسلت الى زوجها رسولاً تطلب اليه الاّ يقاضي المسيح لأنه رجل بارٌ صديق (متى ١٩/٢٧) . وشهد له بالقداسة ايضاً اللّص اليمين الذي شاطره ذل الصليب ؛ بقوله لرفيقه اللّص الشمال : « الا تخشى الله وانت مشترك في الحكم نفسه . اما نحن فبعدل لأننّا نلنا ما تستوجبه اعمالنا واما هذا فلم يصنع شيئاً من السوء » (لوقا ٤٠/٢٣) . وشهد له يهوذا الاسخريوطي الذي بعد ان خانه نهشه الندم على الخيانـــة فقال لليهود : «خذوا ما لـكم لقد خطئت اذ اسلمت دماً زكياً» (متى ٤/٢٧). وشهد له كذلك رجال بطانته ، تلاميذه ؛ وكثيراً ما يتكشف لرجال البطانة مـــا في اسيادهم من عيوب تجرئهم عليهم فيستبذلونهم ويجعلونهم في ايديهم آلةً مطواعاً . اما المسيح

فكان اهل بطانته يزدادون اجلالاً له واعجاباً به كلّما وقفوا على اسراره ونفذوا الى دخائله وتوثق بينه وبينهم اواصر الالفة. فشهد له بطرس رسوله الاول بقداسته فقال عنه : « لم يقترف خطيئة ولا وُجِدَ في فمه مكر » (١ بطرس ٢/٢١) . ولقد ارغم اخيراً ابليس على الشهادة له بالقداسة عندما كان يخرجه من المجانين ، وكان في مجمعهم رجل فيــه روح نجس فصاح قائلاً : « ما لنا ولك يا يسوع الناصري أأتيت لتهلكنا . قد « عرفتك من انت انك قدوس الله . فانتهره يسوع قائلاً « اخرسْ واخرجْ من الرجل . فخبطه الروح النجس وصاح « بصوت عظيم وخرج منه » (مرقس ١/٢٣) .

٢ — معجزاته

س — ولماذا تؤلف المعجزة كالقداسة جزءاً من اوراق اعتماد الرسول الحقيقي ؟

ج — تؤلف المعجزة جزءاً من اوراق اعتماد الرسول الحقيقي لأنها تدل على ان الله خوّله سلطانه الالهي ؛ وهي خير ضمانة تقطع على الناس مجال الشك في ما يأتيهم به من حقائق . وهذا السلطان على صنع العجائب والمعجزات هو اول ما يحرص على الحصول عليه كل رسول . ودليلنا على ذلك ان موسى لم يلبِّ طلب الله في اخراج الشعب الاسرائيلي من مصر الاّ بعد ان ظفر منه تعالى بهذا السلطان . فرأى الله يحيل عصاه الى حية ثم يعيدها عصا وسمعه تعالى يقول له : « خذ بيدك هذه العصا تصنع بها الآيات » (خروج ٤/١—٥ و١٢ و١٧) .

س – هل كان للمسيح سلطان على صنع العجائب والمعجزات ؟

ج – نعم كان للمسيح سلطان على صنع العجائب والمعجزات وقد اجرى معظمها تأييداً لرسالته . فما شفى المخلّع مثلاً من شلله الاّ بعد ان شفاه من خطاياه اثباتاً لسلطانه على مغفرة الخطايا « وقال اذ ذاك : « ما الايسر ان يُقال : مغفورة لك خطاياك « ام ان يُقال : قم وامشِ . لكن لتعلموا ان لابن البشر « سلطاناً على الارض على مغفرة الخطايا . حينئذٍ قال للمخلّع : « قم احمل سريرك وامشِ . فنهض ومضى الى بيته . ولدى « هذا المنظر استولى على الجميع الخوف ومجّدوا الله الذي « اتى الناس سلطاناً كهذا » (متى ٩/١–٩) .

وقد اجاب رسولَي يوحنا المعمدان يوم سألاه عمّا اذا كان هو المسيح ام لا بقوله : « اذهبا واعلِما يوحنا بما سمعتما « ورأيتما العميان يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم « يسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبشَّرون وطوبى لمن لا « يشك فيَّ » (متى ١١/٢–٧) . ومعنى جوابه للرسولين ان من يصنع هذه العجائب لا بُدَّ من ان يكون المسيح المنتظر . وقال يوماً لليهود بهذا الصدد : « اما انا فلي شهادة اعظم من شهادة يوحنا لأن الاعمال التي اعطاني الآب ان أتممها، هذه الاعمال بعينها التي انا اعملها هي تشهد لي بان الآب قد ارسلني » (يوحنا ٥/٣٦) .

س – ماذا رأى معاصرو المسيح في عجائبه ومعجزاته وكيف عللوها ؟

ج – رأوا فيها إصبع الله ذلك لأنهم رأوه يأبى كل الإباء ان يأتي

بمعجزة واحدة لاثارة الدهشة والاعجاب واغراء الناس على اتباعه وتحققوا انه كان يجري عجائبه رأفـــةً بالمعذبين والمحتاجين الى الرحمة ليحرّك فيهم عاطفة التوبة والشكر نحو الله ؛ ولهذا احاطوه بمظاهر الاعظام والاكبار وراحوا بعد شفاء المخلّع « يمجّدون الله الذي اعطى الناس سلطاناً كهذا » (متى ٩/٨) وامتلأوا خوفاً وقالوا : « لقد رأينا اليوم العجائب » (لوقا ٥/٢٦) . واعترفوا به بانه نبي عظيم ، بعد احيائه ابن الارملة من الموت (لوقا ٧/١٦) وآمنوا به انه ابن الله بعد تهدئته العاصفة (متى ٧/١٦) .

٣ ــ نبوءاته

س ــ ما هي النبوءة ؟

ج ــ النبوءة هي معجزة عقلية لا تقع تحت الحواس ، تقوم على معرفة المستقبلات الناشئة عن حرية الانسان وعــلى كشف النقاب عنها قبل وقوعها . فمعرفة الفلكي مثلاً للكسوف او الخسوف وانذاره بالمطر وتبشيره بالصحو ، كل هذا ليس من النبوءة في شيء ، لأن هذه كلها حوادث تتبع نظاماً طبيعياً لا تأثير لحرية الانسان فيه . اما النبوءة فتتناول معرفــة ما سيحدثه الانسان بملء حريته . وهذه المعرفة لا يملكها الاّ الله ومن يمنحه اياها الله من عباده . وقد منح الله تعالى هذه المعرفة انبياءه فتنبّــأوا عن المسيح وصوّروا مراحل حياته بين البشر وموته قبل مجيئه .

س – ولماذا النبوءة تؤلف جزءاً من اوراق اعتماد المسيح مع القداسة والمقدرة على صنع المعجزات ؟

ج – تؤلف النبوءة جزءًا من اوراق اعتماد المسيح لأنها تبيّن على انه مطّلع على اسرار الله مثلما تبيّن القداسة على وجود صلاح الله فيه وصنع المعجزات على وجود القدرة الالهية تحت تصرفه.

س – وما هي النبوءات التي اتى بها المسيح ؟

ج – لقد اتى المسيح في حياته بنبوءات تحقق بعضها وما يزال البعض الآخر قيد التحقيق ودلّت جميعها على انه واقف على اسرار الله . لقد تنبّأ بصلبه وموته وقيامته بعد ان اعترف بطرس بالوهيته في قيصرية فيلبس فوصف لتلاميذه ما سيقاسيه من الآلام التي سينزلها به المشايخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، قبل ان يُقتَل ويقوم في اليوم الثالث بعد دفنه (متى ٢١/١٦) . وأسرَّ الى تلاميذه قبيل صعوده الى اورشليم واستسلامه لليهود بما سيناله من هزء وجلد وصلب(متى ١٧/٢٠). وتنبّأ على خيانة اعزّ الناس لديه رسوله بطرس بعد ان تبجّح امام اخوانه بانه يفضّل الموت على الخيانة . فقال له يسوع : « الحق اقول لك انك في هذه الليلة قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات » (متى ٣٣/٢٦) . ونبّه تلاميذه الى ما سيعانوه من مصاعب والى ما سينزل بهم من اضطهاد بقوله : « احذروا الناس فانهم سيسلمونكم الى المحافل وفي مجامعهم يجلدونكم ويقودونكم الى الولاة والملوك من اجلي شهادة لهم وللامم » (متى ١٧/١٠) .

وتنبـّـأ اخيراً عن خراب اورشليم وتدمــير هيكل سليمان (متّى ١/٢٤ ، مرقس ١/١٣ ، لوقا ٥/٢١) . وقد تمت نبوءاته هذه جميعها وقد هدم تيطس سنة ٧٠ اورشليم ولم « يبق من هيكل سليمان حجر على حجر » . وهكذا ابان المسيح بنبوءاته انه يملك اسرار الله واثبت انه رسوله الحق .

الدرس الثالث

ألوهية يسوع المسيح

س — ولكن الانبياء اثبتوا ايضاً صحة رسالتهم بقداسة سيرتهم ومعجزاتهم ونبوءاتهم : أفلا يوجد اذن فرق بينهم وبين المسيح ؟

ج — بلى ، يوجد فرق بين الانبياء والمسيح رغم ما اتوه من خوارق، ذلك لانهم فصلوا تعاليمهم عن شخصيتهم بحيث نسبوا ما قاموا به من معجزات الى الله لا الى ذواتهم . امـا المسيح فلم يفصل بين تعاليمه وشخصيته ولا نسب الى سواه ما اتاه من معجزات ، لكنه جعل نفسه موضوع تعليمه لأنه إله وابن الله . فما قال مثلاً اني آتيكم بتعليم جديد من لدن الله واني مرشدكم الى طريق تؤدي اليه بل قال : « انا نور العالم من تبعني فلا يمشي في الظلام » (يوحنا ٨/١٢) . « انا الطريق والحق والحياة لا احد يأتي الى الآب الا بي » (يوحنا ١٤/٦). ما قال اني احمل اليكم وسائل تضمن لكم الحياة الابدية بل قال : « انا القيامة والحياة من آمن بي وان مات فسيحيا » (يوحنا ١١/٢٥) . كان هو نفسه الانجيل بشرى الخلاص الى العالم قد نستطيع ان نفصل موسى عن شريعتـه واشعيا عن نبوءته لكننا لا نستطيع ان نفصل المسيح عن انجيله .

س — فالمسيح إذن إله ؟

ج — نعم ان المسيح إله وقد اعلن الوهيته بتصرفاته وتصريحاته . وشريط حياته اليومي اي مجموعة تصرفاته اليومية من تعاليم وتدابير واجراءات وحركة ولا سيما مقاضاته امام المحكمة الدينية اليهودية العليا (السنهدريم) والحكم عليه بالموت صلباً لن يُفهَم الاّ لأنه قال بالوهيته .

س — وكيف تصرف المسيح كإله ؟

ج — تصرف المسيح كإله من حيث انه عدّل الشريعة الموسوية التي هي من الله وغيّر مراسيم السبت (متى ٥ و٦) وقال بحق غفران الخطايا واظهر سلطانه على الحياة والموت مثل الله واعلن حقه بالصدارة على الانبياء وطلب ان يُحَب ويُعبَد كإله.

س — كيف غفر الخطايا ؟

ج — غفر الخطايا بظروف متعددة منها ان اليهود جاؤوه يوماً بمخلّع ليشفيه من شلله . اما هو فلمّا رآه ابتدره بقوله : « ثق يا بنيّ مغفورة لك خطاياك ! » ولما استغرب علماء اليهود تصرفه هذا وقالوا بقلوبهم انه يجدّف لانه لا احد يستطيع ان يغفر الخطايا الاّ الله ، حينئذ قال لهم : « لكي تعلموا ان ابن البشر (المسيح) له سلطان على الارض ان يغفر الخطايا — عند ذاك قال للمخلّع — احمل سريرك واذهب الى بيتك » (متى ١/٩–٨) . ثم بعد قيامته من الاموات قلّد تلاميذه السلطان على مغفرة الخطايا (يوحنا ٢٢/٢٠) وامرهم بان يكرزوا باسمه بانجيل التوبة لمغفرة الخطايا (لوقا ٤٦/٢٤) .

س — وكيف اظهر ذاته رباً للموت والحياة ؟

ج — اظهر ذاته رباً للموت والحياة باحيائه الموتى . هكذا احيا ابنة يائير رئيس المجمع (مرقس ١١/٥–١٦، لوقا ٤١/٨–٥٦، متى ١٨/٩–٢٦) واحيا ابن ارملة نائين (لوقا ١١/٧–١٧) اما قدرته الالهية فتجلّت بنوع خاص ببعثه عازر شقيق مرتا ومريم من القبر بعد دفنه باربعة ايام في قرية « بيت عنيا » المجاورة لاورشليم (يوحنا ١/١١–٤٤) . وقف المسيح في هذه المعجزة الى جانب الله الخالق يواصل عمله الالهي المبدع ، كما ألفنا في العهد العتيق ، معلناً انه رب الموت والحياة ، كما جاء في الاسفار المقدسة :

— « الرب يُميت ويُحيي ويُحدر الى الجحيم ويُصعد » (ملوك ١ : ١٦/٢) .

(من نشيد حنة أم صموئيل النبي)

— « انت الذي اراني مضايق كثيرة شديــدة لكنك تعود فتحييني » (مز ٢٠/٧٠) .

— « روح الله هو الذي صنعني ونسمة القــدير احيتني » (ايوب ٤/٣٣) .

— « ألعلي انا إله أميت وأُحيي حتى أرسل اليّ هذا ان أبرئ رجلاً من برصه ؟ » (ملوك ٤ : ٧/٥) وها هو الآن يُظهر تلك القدرة الالهية على الموت والحياة في بعثه عازر حياً من بين الاموات ، وقد طمأن مرتا اخت الميت مؤكداً لها انه سيقيم اخاها من القبر بقوله لها : « انا القيامة والحياة من آمن بي وان مات فسيحيا » (يوحنا ٢٥/١١) .

فكلمة « انا القيامة والحياة » هي كلمة الله ذاته في العهد العتيق ، حيث يبيّن قدرته الالهية على الخلق والموت والحياة :

— « انا الرب صانع الكل ناشر السماوات وحدي وباسط الارض بنفسي » (اشعيا ٢٤/٤٤) .

— « اني انا هو لم يكن إله قبلي ولا يكون بعدي . انا انا الرب ولا مخلّص غيري ... » (اشعيا ١٠/٤٣) .

سوف نرى بطرس تلميذ يسوع المسيح يُحيي الموتى ولكن باسم وبقدرة معلمه ، اما المسيح فقد احيا عازر واقامه من القبر بقدرته الشخصية مختصاً لنفسه القدرة على الموت والحياة. وقبل ان يبعث عازر حياً من بين الاموات ، رفع عينيه الى السماء وخاطب الله اباه قائلاً : « شكراً لك يا ابتِ لأنك استجبت لي وقد علمت انك تستجيب لي في كل حين . ولكني قلت هذا من اجل اولئك الذين يحدقون بي لكي يؤمنوا انك انت ارسلتني» وصاح بعد ذلك باعلى صوته « هلمّ عازر فاخرج ! » فخرج الميت مشدود اليدين والرجلين بالعصائب ملفوف الوجه في منديل . فقال لهم يسوع : « حلّوه ودعوه يذهب » . فآمن به كثير من اليهود الذين جاؤوا الى مريم إذ رأوا ما صنع » (يوحنا ٤١/١١–٤٥) .

فلو لم يكن المسيح حقيقة إلهاً مساوياً للآب في الالوهيـة لكان الآب كذّبه ومنعه انِ يجري هذه المعجزة ، لا سيّما وانه صنعها تأييداً لصدق رسالته «لكي يؤمنوا انك انت ارسلتني».

س — وكيف ادّعى حق الصدارة على الانبياء ؟

ج — ادّعى حق الصدارة على الانبياء بان اعلن ذاته «رب السبت» (مرقس ٢/٢٨) وحق الصدارة عــلى يونان النبي وسليمان وسائر الانبياء (متى ١٢/٣١) « رجال نينوى سيقومون في الدين مع « هذا الجيل ويحكمون عليه لأنهم تابوا بكرز يونان وههنا « اعظم من يونان . ملكة التيمن ستقوم في الدين مع هذا « الجيل وتحكم عليه لأنها اتت من اقاصي الارض لتسمع « حكمة سليمان وههنا اعظم من سليمان » .

س — وكيف ادّعى حق العبادة ؟

ج — ادّعى حق العبادة بان ساوى نفسه بالله وامر الناس بان يؤمنوا به وبتعاليمه وان يحبسوا على حبه المهج والارواح ان شاؤوا الخلود . يطلب ان يُحَب اكثر من الاب والام والزوج والابن والابنة وكل حبيب. ومن آثر نفسه عليه فقد اضاعه: « من أحب اباً وأماً اكثر مني فلن يستحقني . ومن احب « ابناً او بنتاً اكثر مني فلن يستحقني . ومن لا يحمل « صليبه ويتبعني فلن يستحقني . ومن وجد نفسه يُهلكها « ومن اهلك نفسه من اجلي يجدهــا » (متى ١٠/٣٧—٤٠) . واحتمال الاضطهاد لاجله يورث الانسان الحياة الابديــة (متى ٥/١١) . وما الكفر به في هذه الدنيا سوى مجلبة شقاء في الآخرة : « من ينكرني قدام الناس انكره قدام ابي الذي في السماوات » (متى ١٠/٣٢) .

س — وكيف كانت مجاهرته بالالوهية ؟

ج — كانت مجاهرته بالالوهية ان اعلن ذاته ابناً لله والمسيح المنتظر والديَّان العادل الذي سيدين البشر يوماً على اعمالهم . هو ابن الله مساوٍ لابيه بالجوهر اي بالمعرفة والقدرة :

— « كل شيء دُفع اليّ من ابي وليس احد يعرف الابن الأ الآب ولا احد يعرف الآب الأ الابن » (متى ١١/٢٥) .

— « من رآني رأى الآب » . (يوحنا ١٤/٨) « انا والآب واحد » (يوحنا ١٠/٣) .

— « لأنه كما ان الآب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الابن يُحيي
« من يشاء . لأن الآب لا يدين احداً بل اعطى الحكم كله
« للابن ليُكرم الابن جميع الناس كما يكرمون الآب . ومن
« لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي ارسله ... لأنه كما
« ان الآب له الحياة في ذاته كذلك اعطى الابن ان تكون
« له الحياة في ذاته واعطاه سلطاناً ان يجري الحكم بما انه
« ابن البشر » (يوحنا ٥/٢١-٢٧) .

وقال ايضاً انه في الدينونة الاخيرة سيجلس على عرش مجده ويقيم الخراف (الابرار) عن يمينه والجداء (الاشرار) عن شماله ويجري فيهم القضاء والعدل ويناقشهم الحساب على المحبة (متى ٢٥/٢١-٤٦) .

س — وما كانت ردة الفعل عند اليهود تجاه تلك التصريحات ؟

ج — لقد اثار المسيح حفائظ اليهود عليه بهذه الاقوال « فازدادوا طلباً لقتله — يقول يوحنا الانجيلي — ليس لأنه كان ينقض

السبت بل لأنه كان يقول ان الله ابوه مساوياً نفسه بالله »
(يوحنا ١٨/٥) . وقد حاولوا يوماً ان يرجموه بعد تصريح من
هذا النوع « فاجابه اليهود اننا لسنا لعمل حسن نرجمك لكن
للتجديف ولأنك تجعل نفسك إلهاً وانت انسان » (يوحنا ١٠/١٣) .

س — وكيف كانت عاقبة هذه التصريحات ؟

ج — كانت عاقبة هذه التصريحات ان المسيح احرج اليهود على
امرين لا مخرج لهم منهما : إمّا ان يُقرّوا لـه بالالوهية
ويسجدوا له ويعبدوه وإمّا ان يرجموه او يصلبوه . وقد زادهم
احراجاً لما اختتم رسالتـه باعظم معجزاته كلها بحيث بعث
العازر واقامه من القبر بعد وفاته ودفنه باربعة ايام بعد ان
قال مطمئناً ومؤكداً لاخته مرتا عن عزمه وقدرته على احيائه :
« انا القيامة والحياة من آمن بي وان مـات فسيحيا »
(يوحنا ١١/٤٦-٥٣) .
وبما انه أرسل خصيصاً ليفتدي البشر ، سوف يترك الاحداث
تتدافع منذ ذلك الحين لتقوده الى الصليب كما سنرى ذلك
فيما بعد .

س — كيف كان موقف تلاميذ المسيح ورسله من الوهيته ؟

ج — لم يكن من طبع اليهود ان يؤلهوا انساناً ومـا رأيناهم يؤلهون
موسى رغم ما اتاهم من المعجزات الخارقة . فالتلاميذ والرسل
رأوا انفسهم امام انسان صادق وقديس ونزيه يعمل لا لاجل
مصلحته بل لاجل مجد الله ابيه ، وقد عايشوه مدة ثلاث
سنين ولم يروا فيه ادنى عيب . ومن جهة ثانية سمعوه يكاشفهم

علانيةً انه ابن الله وانه مساوٍ لابيه في القدرة والمعرفة وقد رأوه يصنع المعجزات تأييداً لتعاليمه واقواله فقالوا بانفسهم انه لو كان كاذباً لما كان الله يتركه يصنع الآيات والمعجزات. هذا ما تحققه ابسط انسان بين اليهود، الشاب الاعمى، الذي اعاد له يسوع البصر يوم قال لعلماء الناموس معلناً ايمانه برسالة المسيح: « ونحن نعلم ان الله لا يسمع للخطأة « اما من يخشى الله ويعمل مشيئته فذلك من يستجيب له » (يوحنا ٣١/٩).

س — ولكن كيف العمل للتوفيق بين وحدانية الله وبين الوهية المسيح لاسيما وانه تكلم ايضاً على شخص ثالث مساوٍ له وللآب ايضاً بالقدرة، يُدعى الروح القدس، لما قال لتلاميذه: « اذهبوا وتلمذوا الامم معمدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس »، فمن هو هذا الروح القدس ؟

ج — لقد جاء الكلام في الانجيل على الروح القدس يوم بشّر الملاك جبرائيل العذراء مريم وطمأنها بانها ستحبل دون زرع بشري وان المسيح الذي تلـــده سيكون من الروح القدس (لوقا (٣٥/١). وقد وعد به المسيح تلاميذه بانه سيحل عليهم بعد صعوده الى السماء كي يشهد له كما هو شهد لابيه وانه سيفهم ويشرح ما يكون قد أُغلِق عليهم: « ومتى جاء « المعزّي الذي أرسله اليكم من عند الآب روح الحق الذي « ينبثق من الآب فهو يشهد لي وهو يمجّدني لأنه يأخذ « مما لي ويخبركم » (يوحنا ٢٦/١٥ و١٤/١٦). فاعمال الروح القدس هي اذن التكوين والوحي والالهام والنور. وهذا مما يدل على انه مساوٍ للآب والابن في القدرة.

س — ولكن كيف نشرح وحدانية الله وسر تثليثه معاً ؟

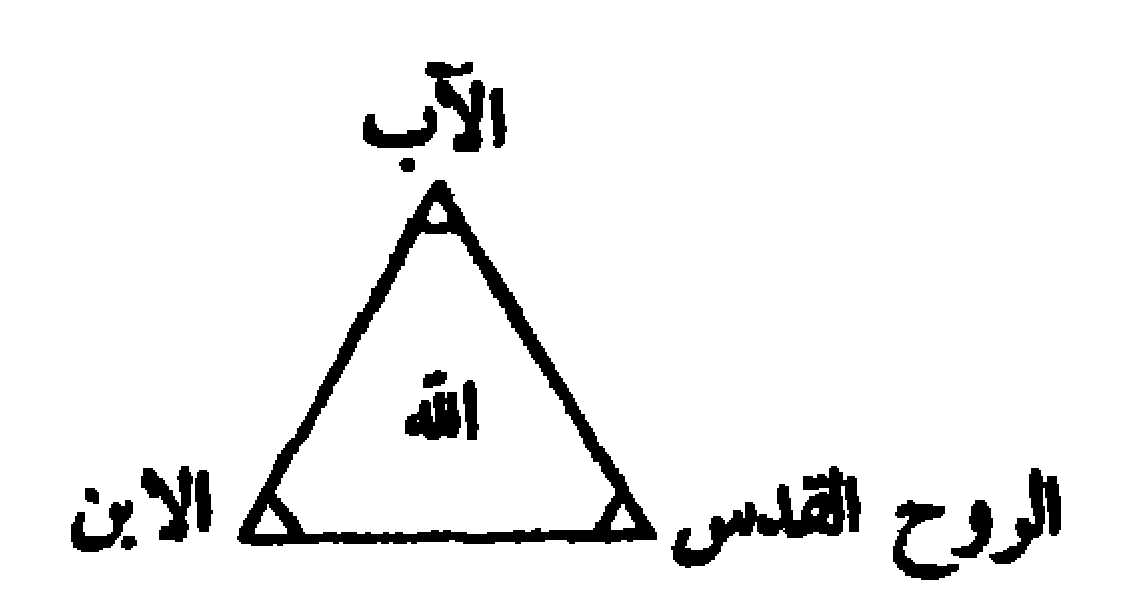
ج — نشرح ذلك على الوجه الآتي : كلمة ابن الله لا تعني ان لله ولداً على شاكلة البشر وحسب مفهوم البشر ، فولادة الابن من الآب مفادها انه صدر عنه كما يصدر النور عن الشمس ويأتي الى الارض لينيرها ويمنحها الدفء والحرارة ويبقى بالوقت نفسه في الشمس ؛ او كالقصيدة او بيت الشعر الذي تتمخض بــه مخيلة الشاعر فيلده ويصبح ابنه وليد تفكيره ونتاج مخيلته — ولقد دُعيت القصيدة بحق بنت الخيال — فيخطه على القرطاس وتتداوله ايدي الناس وبالوقت ذاته يبقى راسخاً ابداً في مخيلة الشاعر ولم يبرحه البتة .

س — وكيف كان صدور ابن الله المسيح عن الله ابيه ؟

ج — كان صدور ابن الله ، المسيح ، عن الله ابيه باطنياً ونعني بالصدور الباطني ان الصادر يبقى داخل مصدره كالفكرة التي تبقى في عقل المفكّر وان كُتِبَت عــلى القرطاس ، بخلاف الصدور الخارجي الذي ينفصل فيه المعلول عن علته شأن الولد الذي ينفصل عن ابيه وعلة كيانه . فالخلائق صدرت عن الله الآب صدوراً خارجياً ولكنه ما يزال يحفظها في الوجود بقوته وان اهملها يوماً عادت الى العدم . اما ابن الله فكان صدوره باطنياً .ولهذا دعاه يوحنا الانجيلي « الكلمة » بحيث قال : « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله » وكان الكلمة الله . كل به كُوِّن وبغيره لم يُكوَّن شيء » مما كُوِّن . فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس...

« والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا وقد شاهدنا مجده » (يوحنا ١) . فالكلمة ، ابن الله ، صار بشراً وكان المسيح الذي جاء الى ارض البشر وعايشهم وعلّمهم طريق الحياة وافتداهم وخلّصهم وبالوقت نفسه كان دوماً بفكر الله ابيه ولم يبرحه قط ولهذا يبقى ابداً واحداً مع ابيه . اما الروح القدس فهو المحبة المتبادلة ما بين الآب والابن ، الربـــاط الحي الذي يربط الآب بالابن ، فكان انبثاقه ايضاً باطنياً من الآب والابن معاً : هذا ما اعرب عنه السيد المسيح لما وعد به تلاميذه بقوله : « الروح القدس يمجدني لأنه يأخذ « ممّا لي ويخبركم . جميع ما للآب فهو لي : من اجل هذا « قلت لكم انه يأخذ ممّا لي ويخبركم » (يوحنا ١٦/١٤) .

لقد شبّه بعض اللاهوتيين ، تسهيلاً من الافهام ، الاقانيم الثلاثة بمثلث متساوي الأضلاع والزوايا ، تحتوي فيه كل زاوية ما بين ضلعيها مساحة المثلث بكامله كما ترى في الرسم .



س — ولكن ما الذي يجعل الله واحداً في ثلاثة اقانيم او اشخاص ؟ أليس ذلك انتقاص لقدر الله ؟ أوليس من الأفضل الله واحد فحسب ؟

ج — ان جوهر الله محبة ، كما يقول يوحنا الانجيلي (١ يو ٤/١٦) ، ولا يمكن الاّ يكون محبة ليكون سعيداً . فالمحبة هي مصدر

سعادة الله ، ومن طبع المحبة ان تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور . فهي اذن تفترض شخصين على الاقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما بحيث يندفع الحب الى هبة الذات لمن يُحب هبةً تكون فيهـا سعادتهما . فلكي يكون الله سعيداً – ولا معنى لإله غير سعيد والأ انتفت عنه الالوهية – كان عليه ان يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وهذا الشخص لا يستطيع ان يكون لا اعلى من الله ولا ادنى منـه والأ لبطلت الوهيته ، بل يكون بالتالي صورة ناطقة له . ولهذا ولد الله الابن منذ الازل نتيجة لحبه اياه ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وبادل الابن الآب هذه المحبة ووجد فيه هو ايضاً سعادته ومنتهى رغباته . وثمرة هذه المحبة المتبادلة ما بين الآب والابن كانت الروح القدس . هو الحب اذن يجعل الله ثالوثاً وواحداً معاً لأن الحب يفرض التعداد والوحدة معاً .

الدرس الرابع

غاية تجسد ابن الله

س — بما ان يسوع المسيح هو حقيقة ابن الله فما الاسباب التي حدته ليتجسد ويصير انساناً ؟

ج — تجسد ابن الله ، يسوع المسيح وصار انساناً لاربعة اسباب :

١ً — لكي يُظهر ابوة الله للبشر

٢ً — لكي يعلّم البشر الاخوّة الصحيحة

٣ً — لكي يكون مثالاً حياً امامهم

٤ً — لكي يفتديَهم ويخلّصهم

س — كيف أظهر المسيح أبوة الله للبشر ؟

ج — اظهر المسيح ابوّة الله للبشر برفقه بالضعفاء والبائسين والخطأة . رفق بالاطفال في زمن قسا اهله عليهم فاعتدوهم سلعاً تُباع وتُشرى وادّعوا ان لهم عليهم حق الموت والحياة . اما هو فاحترمهم وباركهم لأن « ملائكتهم يعاينون وجه ابيه السماوي كل حين » (متى ١٠/١٨) . وانذر بالعقاب الرهيب من فتح عيون الصغار على الشر او اسقطهم في الإثم (متى ٦/١٨) .

اشفق على الجماهير المتألبة عليه « لأنهم كالخراف التي لا راعي لها » (متى ٩/٣٦) . أكثر لهم الخبز بالبريّة واطعمهم لأنهم كانوا جياعاً (متى ١٤/١٦) . وأحال النواح في جنازة ابن ارملة نائين الى زغردة عرس وفرح بحيث اوقف النعش واقام الميّت وأحياه ودفعه لأمه الثكلى (لوقا ٧/١١) . حنا على مرضى الاجساد على مختلف انواعهم . ما انفت عيناه من مرأى ابرص مشوّه الجسد يقول له : « يا رب ان شئت فانت قادر ان تطهرني » فيجيبه على الفور : « قد شئت يا ابني فاطهر » (متى ٨/٣) . وما تأفف من الاعمى يخدش صوتــه الآذان ويصرخ عالياً : « يا ابن داود ارحمني ! » فرحمه ورد عليه البصر (مرقس ١٠/٤٦) . حدب على مرضى النفوس ، الخطأة ، فآكلهم وجاذبهم الحديث ليعيد الثقة والطمأنينة الى نفوسهم ويضمد خاطرهم الجريح فسمح للزانيـــة بان تغسل قدميه بالدموع ومنحها حلة الغفران ودعا متى العشّار ليكون واحداً من رسله الاثني عشر وقال : « ما جئت لادعو الصدّيقين بل الخطأة » (متى ٩/١٣) . واظهر اخيراً ابوّة الله بان جلا في الانسان صورة الله . احب البشر حباً فوّاحاً بالنقاء والعفاف لا اثرة فيه ولا ميع ولا مساومة على الآداب والاخلاق واحبهم على اختلاف الطبقات والنزعات حباً لا تفرقة فيه ولا تشيّع ولا محاباة فكان في حبه للناس صورة ابيه السماوي التي عمل على جلائها في نفوسهم فذكّرهم بانهم على مثال الله تتعدى قيمتهم قيمة السلع والعجماوات ، فمـا كان الانسان يوماً مُلْك الدولة ولا ملك اسياده ولا ملك

الأمة اذ انه اصبح اخاً ليسوع المسيح بالتبني وشريكاً له بالحياة الالهية ووريثاً معه في السماء .

س — وكيف علّم المسيح البشر الاخوّة ؟

ج — افهمهم ان اباهم واحد وهو الله وانهم جميعاً اخوة ، افضلهم عند الله اتقاهم ، وجرّأهم على الوقوف امامه وقفة البنين في ثقة واخلاص يدعونه في صلاة اجمل ما فاهت به شفتا بشر « ابانا الذي في السماوات » . وعلّمهم ان يقولوا « ابانا » بصيغة الجمع تذكيراً لهم انهم جميعهم اخوة على اختلاف المقام والالوان والاجناس . وباح لهم بسرّ ما كان يراود خيالهم وهو انهم جميعاً عائلة واحدة رأسها المسيح ابن الله المتجسد الذي صار بشراً مثلهم وبكر الخليقة المتجددة : « انا الكرمة وانتم الاغصان » (١ يو ١٥/٥). وقال من بعده رسوله يوحنا الانجيلي مفسراً افكاره بهذا الصدد : « ليُحب بعضنا بعضاً فان المحبة من الله وكل من يُحب فهو مولود من الله ويعرف الله لأن الله محبة » (١ يوحنا ٤/٧) . ومن بعده القديس بولس الرسول : « لانكم جميعاً ابناء الله بالايمان بالمسيح يسوع لانكم انتم جميع الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح فليس بعد يهودي ولا يوناني ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر ولا انثى ، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع » (غلاطية ٣/٢٦) .

س — قلت ان ابن الله يسوع المسيح تجسد ليكون مثالاً حياً للبشر يقتدون به . فكيف ذلك ؟

ج — تجسد ابن الله ، يسوع المسيح ، وصار انساناً ليكون قدوةً

للبشر يقتدون بها في علاقاتهم مع الله ومع بعضهم بعضاً . فما سنّ للناس شريعة الاّ لزم نفسه بها من قبلهم ولا ارشدهم الى فريضة الاّ أتمها بدوره . تمرس بما يتمرسون به من اتعاب وشقاء وآلام . فجسّد في شخصه تعاليمه الالهيـــة . لم يسلّم للبشر عقائد جافة باردة لكنّه نصّب ذاته إماماً لهم بقوله : « انا الطريق » (يوحنا ٦/١٤) . فوضع هكذا في شريعته الرغبة في حملها مما حدا الفيلسوف پاسكال على القول : « اني احب الفقر لأن يسوع أحبه » . فما اهون العمل على العامل عندما يعرف ان المسيح عمل قبله ويعمل الآن معه ! وما ايسر احتمال الآلام على من سمّرهم المرض على فراش الآلام عندما يوقنون ان المسيح تألم قبلهم وهو يتألم الآن معهم ! وما اسهل الكفاح على الشباب للثبات على القمم عندما يعرفون ان المسيح كافح لاجلهم ويكافح معهم الآن ! علّم البشر ان يحفظوا وصايا الله وان يخضعوا لكل سلطة تمثلـــه وقد مارس ذلك وكانت كل حياته فعل طاعة وهو القائل : « لأني نزلت من السماء لا لأعمل مشيئتي بل مشيئة الآب الذي ارسلني » (يوحنا ٣٨/٦) .

علّم البشر ان يغفروا كل اساءة تلحق بهم وقـــد غفر لصالبيه لما كان يعاني سكرات الموت على الصليب قائلاً : « يا ابتاه اغفر لهم » (لوقا ٣٤/٢٣) .

س ــ وما كانت الغاية الاخيرة من تجسد ابن الله ، يسوع المسيح ؟

ج ــ كانت الغاية الاخيرة من تجسد ابن الله يسوع المسيح افتداء

البشر — كما سنرى في الدرس الآتي — وتمجيد الله معاً بتخليص شرفه تعالى المهان بالخطيئة .

س — ولكن أوليس هنالك من غضاضة او مذلة تلحق بالله من جرّاء التجسّد ؟

ج — ليس ثمة من مذلة لله من جرّاء التجسد ، فهل يخسر الكبير شيئاً عندما يحنو على الصغير او الرفيع على الوضيع او السليم على السقيم او الغني على الفقير ؟ وهل يَذلّ القديس عندما يشفق على الخاطئ الضعيف ام يلطّخ الطبيب يده بوصمة عار عندما يضمد جراح المريض او يدنّس المؤاسي كفه عندما يمسح دمعة الحزين ، لا لعمري بل يزداد كل منهم رفعة وسمواً . عندما ينحدر انسان من علو شاهق ويبقى منتصباً على ساقيه ينتزع اعجاب الناس فيصفقون له وهكذا انحدار ابن الله الى ارض البشر وتجسده واتضاعه لم يكن الا ليزيد البشر اعجاباً به وحباً له .

س — اذن كان من الخير ان يتجسد ابن الله ويصير انساناً ؟

ج — نعم كان من الخير العميم ان يتجسد ابن الله ويصير انساناً ، فالمسيح هو ملتقى الحُبين ، حُب الله للانسان وحُب الانسان لله ، فيه تجسد حُب الله ليظهر بأرق واحن مظاهره وفيه تسامى حب الانسان وتروحن وارتقى الى الله باجمل واسمى مظاهره ايضاً ؛ فيه اعارت الانسانية الله قلباً من لحم ودم ليخبر ضعفها وشقاءها ويحنو ويشفق دوماً عليها ؛ وفيه اعار الله الانسانية قدرته الالهية لتستطيع ان تجاوبه على حبه وتحبه حباً يليق به فيتهيأ لها ثمت القول مع بولس الرسول : « لست

انا احيا انما المسيح يحيا بي » (غلاطية ٢/١٦) . فالمسيح هو انحدار السماء الى الارض وارتفاع الارض الى السماء ، هو قبلة السماء الى الارض وقبلة الارض الى السماء ، هو ذاك الجسر الحي الذي امتد مؤبداً ما بين السماء والارض والذي طال ما حلمت به البشرية منذ زلة الانسان الاول وانحرافه عن سوي السبيل .

س ــ ولماذا لم يجاهر المسيح بألوهيته منذ بدء كرازته بالانجيل وابقى ذلك الى الايام الاخيرة من حياته ؟

ج ــ لم يجاهر المسيح بالوهيته امام الجماهير في بدء كرازته بالانجيل كي يتهيأ له الوقت اللازم لبث رسالتـــه وتثقيف تلاميذه وتأسيس كنيسته ولا يُحرج اليهود على صلبه قبل الاوان . كان يكتفي بان يعلن الوهيته من وقت الى آخر امام نفر قليل من تلاميذه واتباعه كما حدث ذلك في قيصرية فيلبس (متى ١٦) ، والى السامرية على بئر يعقوب (يوحنا ٤) .

الدرس الخامس

سر الفداء

يسوع المسيح فادي البشر

س — كيف أتمّ المسيح سر الفداء ؟

ج — اتمّ المسيح سر الفداء بموته على الصليب بملء اختياره .

س — وهل موت المسيح على الصليب حدث تاريخي ؟

ج — نعم موت المسيح على الصليب حدث تاريخي لا سبيل الى انكاره وقد سجله الرسل في اناجيلهم مكرهين بنوع ما لأنه لم يُدرْ بخلدهم يوماً ان هذه النهاية المشؤومة تنتظر معلمهم رغم تهيئته لهم ، الى ان فوجئوا بالواقع المرير ؛ وكان التبشير بهذا الحدث يؤلف النقطة المركزية من كرازتهم ولاجلـــه جازفوا بارواحهم كي لا ينكروا امر حقيقته . وقد ألمع المؤرخون غير المسيحيين الى موت المسيح امثـــال تاكيتوس عند الرومان ويوسيفوس عند اليهود .

س — ما معنى كلمة فداء ؟

ج — كلمة فداء معناها انقاذ او تحرير . والكتاب المقدس يستعمل

لفظتين كي يدل على عمل الله الخلاصي نحو البشر : « الله يفدي » و « الله يُنقذ » . فاللفظة الاولى استُعمِلَت اولاً للدلالة على الحل من العبودية او التحرير من القيود ؛ غير ان هذا العمل التحريري كان يجري لقاء دفع دية « الفداء » ثم استُعمِلَت هذه الكلمة للدية التي كان الشعب يقدمها الى الله في الهيكل ليفتدي بها كل مولود ذكر بكر فاتح رحم ، وكانت هذه الدية حملاً صحيحاً من الغنم يُقرَّب ذبيحة للرب . ثم استُعمِلَت كلمة « فداء » لما انقذ الله شعبه من عبودية الفراعنة في مصر بواسطة موسى (تثنية الاشتراع ٧/٨ و٩/٢٦) واخيراً انتقلت كلمة « فداء » الى تحرير الانسان من ربقة الخطيئة وعبوديتها وضرورية التطهير منها والتكفير عنها ، اذ انه لا يوجد عبودية للانسان احط منها (حزقيال ٢٠/٤٣ و٤٥/١٥).

س — ولماذا فرض الله الذبائح من الحيوانات على شعب اسرائيل كما جاء في الكتاب المقدس ؟

ج — فرض الله الذبائح على شعب اسرائيل ليحملهم على الاقرار له بسلطانه المطلق عليهم وعلى جميع مخلوقـــات الارض ثم لكي يشكروه على صنيعه ، خاصةً لما اخرجهم من دار العبودية بمصر وقد امر بذبيحة الفصح — ومعنى الفصح الخروج — وباحياء تلك الذكرى في كل سنة ليذكّرهم بكريم عطفه وجميل صنيعه نحوهم (خروج ١٢) ؛ واخيراً امر الكهنة والاحبار بان يقدموا له ذبائح تكفير عن الخطايا والمآثم (احبار ١٦ و١٧).

س – ولماذا كانت ذبيحة المسيح على الصليب ضرورية لافتداء البشرية ؟

ج – كانت ذبيحة المسيح على الصليب ضرورية لافتداء البشرية بسبب معصية الانسان الاول ، آدم ، جد البشرية وقطع العلاقات البنوية والودية بينه وبين الله . لقد عصى آدم الله فحصلت القطيعة بينه وبين ربه وبات يحنُّ الى نعيم فقده ولا سبيل له الى العودة اليه وهو لا يملك وسيلة الى التكفير والتعويض ؛ وانَّى له ان يكفـّر وهو خليقة حقيرة ، والمهان إله قدير والإهانة على قدر المهان ! لكنَّ الله الكلي الجودة والرحمة شاءَ ان يتدارك الانسان البائس فارسل ابنه الوحيد الى نجدته فجاءَ المسيح يقدم نفسه وسيطاً بين الله ابيه والبشر ولهذا تجسد وتألم ومات ، فلولا المعصية والخطيئة لما كان موجب لموته .

س – ولكن اما كان بمقدور الانسان ان يكفّر هو نفسه عن خطيئته دون وساطة المسيح ؟

ج – كلاّ ! وذلك لسببين :

١ – اولها لأن الانسان بخروجه على طاعة الله خرج عن دائرة ابناء الله هو وذريته واقترف ذنباً نحو العدالة الالهية ممّا اضطر الله على معاقبته لاعادة الحق والنظام الى نصابه . وقد اصبح التعويض نحو العدالة الالهية امراً واجباً لا مفرَّ منه ، وهو قائم بان يعيد الانسان الى الله الاكرام والخضوع الذي حبسه عنه ليسترجع البرارة المفقودة له ولاخوانه البشر . ولن يقوى على التعويض ما لم يأتِ بعمل صالح يفوق الخلل الذي

احدثه بخطيئته ، وهذا ما يفوق قدرة المخلوق . وزد على ذلك فهل يستطيع الانسان الخاطئ ان يبرر خاطئاً آخر ؟ ولهذا بات بحكم المقرر ان تعود بادرة التعويض ومهمته الى الله وحده .

٢ — وثانيهما لأن الخطيئة انتحار روحي اقترفه الانسان حيث فقد مبدأ الحياة الروحية ، حياة البرارة ، حياة ابناء الله ، الذي تسلّمه مجانياً من الله وليس من ذاته ؛ والمنتحر مهما ندم على خطإه وطيشه لا يستطيع ان يعود الى الحياة بعد ان اعطى الموت لنفسه ، ذلك لأن مبدأ الحياة قد تسلمه من غيره وليس من ذاته . يستطيع ان يخسره بالانتحار ولكن لا يستطيع ان يسترجعه مهما عمل . وهكذا الانسان بعد سقوطه في الخطيئة وخسرانه مبدأ الحياة الروحية قد اصبح عاجزاً عن استرجاعه حياة البرارة ، حياة ابناء الله دون تدخل الله ووساطته المباشرة ، فهذا ما سبب التجسد والفداء .

س — كيف كانت وساطة المسيح في سر الفداء ؟

ج — كانت وساطة المسيح في سر الفداء على الشكل الآتي : لما تجسد ابن الله يسوع المسيح جمع في شخصه الالهي الطبيعتين الالهية والبشرية فكان إلهاً وانساناً معاً ، فتسنى له عندئذٍ ان يقوم بدور الوسيط بين الله والناس . وهكذا اصبح بتجسده بكراً لاخوةٍ كثيرين وهبهم نعمة التبني ، نعمة ابناء الله كما اوضح ذلك بولس الرسول (رومانيين ٨/٢٩) . « فان الذين سبق فعرفهم سبق فحدد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنه حتى يكون بكراً ما بين اخوة كثيرين » (روما ٨/٢٩) . وبفضل هذه الوساطة

تمكن بموته على الصليب من التكفير عن خطايا البشر الذين كان يحمل بشريتهم ويصلبها معه ، ومن مصالحتهم مع الله ابيه ؛ فكان بذلك آدماً جديداً للبشرية المتجددة كما ألمع الى ذلك ايضاً بولس الرسول بقولــه : « لأننا اذا كنا صولحنا « مع الله بموت ابنه ونحن اعداء فبالاحرى كثيراً ان نخلص « بحياته ونحن مصالحون ... لأنه ان يكن بسبب زلة واحد « قد مات الكثيرون فبالاحرى كثيراً ان تغزر نعمة الله التي « لانسان واحد يسوع المسيح » (رومانيين ٥/١٠-١٦) . وبجملة القول كان المسيح يتألم على الصليب كانسان ولكنه كان ينال مثابة واستحقاقات إله ، ذلك لأن فيه طبيعتين إلهية وانسانية في شخص واحد شخص ابن الله .

س – ولكن هل الإله يموت ؟

ج – إله يموت ! هذا ما شق على حكماء آثينا التسليم به وحسبه اليهود المقيمون خارجاً عن فلسطين ضرباً من الجنون مما انطق بولس الرسول بقوله : « نحن نبشّر بالمسيح مصلوباً عثرةً لليهود وجهالةً للامم » (١ كورنتس ١/٢٣) . ان المسيح لم يمت بوصفه إلهاً – فالإله لا يموت – لكنه مات بوصفه انساناً وليس في موت الانسان ما يدعو الى الاستغراب وقد ارتضى الموت طوعاً ليمجد اباه السماوي وليفتدي بني البشر . وقد وصف تطوعه هذا الاختياري داود النبي الف سنة قبل ميلاده فقال : « ذبيحة وتقدمة لم تشأ لكنك ثقبت أذنيَّ ولم تطلب « المحرقات ولا ذبائح الخطيئة حينئذٍ قلت هاءنذا آتٍ فقد

« كُتِب عني في درج الكتاب لاعمل بمشيئتك يا الله .
« اني في هذا راغب وشريعتك في صميم احشائي » (مز ٧/٣٩) .
والمسيح نفسه اشار الى ذاك التطوع الاختياري حيث قال :
من اجل هـــذا « يُحبني ابي لانني ابذل نفسي لآخذها
« ايضاً . وليس احد يأخذها مني ولكني ابذلها باختياري ولي
« سلطان ان ابذلها ولي سلطان ان آخذها ايضاً . هذه الوصية
« قبلتها من ابي » (يوحنا ١٠/١٧) .

س — اذن كانت الغاية الرئيسية من مجيء المسيح افتداء البشرية بذبيحة حياته ؟

ج — نعم كانت الغاية الرئيسية من مجيء المسيح افتداء البشريـــة بذبيحة حياته وسط الآلام المبرّحة . وقد وصفه اشعيا النبي ثمانية قرون قبل مجيئه وسط العذاب حاملاً خطايا البشر ليكفّر عنها قـــال : « انه لقد أخذ عاهاتنا وحمل اوجاعنا
« فحسبناه ذا برص مضروباً من الله ومُذلّلاً . جُرِحَ لاجل
« معاصينا وسُحِقَ لاجل آثامنا فتأديب سلامنا عليه وبشدخه
« شُفينا . كلنا ضللنا كالغنم ، كل واحد مال الى طريقه
« فالقى الرب عليـــه إثم كلنا . . . والرب رضي ان يسحقه
« بالعاهات فانه اذا جعل نفسه ذبيحة إثم ... ومرضاة الرب
« تنجح على يده » (اشعيا ٥٣/٤-١١) .

وقد بشّر به ملاك الرب القديس يوسف مربيه بانه سيكون مخلّصاً وفادياً للشعب : « وستلد (مريم) ابناً فتسمّيه يسوع (المُنقذ المخلّص) لأنه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم » (متى ١/٢١) .

وقدّمه يوحنا المعمدان للشعب فادياً ومخلّصاً بقوله : « هذا

هو حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم » (يوحنا ١/٢٩) .
وهو نفسه صرّح اكثر من مرة انه جاء ليمحو خطيئة العالم ويمنح البشر ولادة روحية ثانية بموته على الصليب . هذا ما ادلى به لنيقودمس احد علماء اليهود الذي جاءه ليلاً يستوضحه عن كنه رسالته : « وكما ان موسى رفـع الحية في البرية « كذلك ينبغي ان يرفع ابن البشر لكي تكون الحياة الابدية « لكل من يؤمن به » (يوحنا ٣/١٤) .
واطلع تلاميذه اكثر من مرة على دخيلة امره وعلى قصده في الموت صلباً لاجل افتداء العالم . وقد دعا ساعة موته ، ساعته ساعة مجده ، وكثيراً ما كان يقول : لم تأتِ ساعتي بعد ... اتت الساعة الخ ... (يوحنا ٧/٥ و١٢/٢٣) .
ولما أسَّس سر الافخارستيا ليلة موتـه . ناول تلاميذه كأس الخمرة قائلاً : « اشربوا من هذا كلُّكم هذا هو دمي العهد الجديد الذي يهراق عنكم وعن الكثيرين لمغفرة الخطايـا » (متى ٢٦/٢٧ مرقس ١٤/٢٢ لوقا ١٢/١٩) .
وقال بعد قيامته من الاموات لتلميذي عمَّاوس شارحاً فكرة الفداء وضرورته : « هكذا كُتِبَ : انه ينبغي للمسيح ان يتألم وان ينهض من الاموات في اليوم الثالث وان يُكرَز باسمه بالتوبة لمغفرة الخطايا » (لوقا ٢٤/٤٧) .

س — ولماذا مات المسيح ليلة الفصح ، العيد العظيم عند اليهود ؟ هل كان ذلك صدفةً ام بتدبير خاص من قبله ؟

ج — لقد تدافعت الاحداث التي افضت الى صلبـه قرب عيد الفصح بتدبير خاص من قبله ، منها انه اختتم رسالته باعظم

معجزاته كلها بحيث اقام العازر من القبر في قرية بيت عنيا المجاورة لاورشليم قبل عيد الفصح بخمسة ايام فقط ، محرجاً بذلك اليهود على قبوله مسيحاً ورباً او على صلبه . وقد اراد ان يموت ليلة الفصح كي يستبدل بذبيحة حياتـــه ذبيحة الفصح فيغدو ثمت هو نفسه الفصح الحقيقي مؤبداً . اجل كانت ذبيحة الفصح المألوفة عند اليهود ترمز الى ذكرى خروج بني اسرائيل من دار العبودية بمصر وعبورهم بحر القلزم على اليابسة وتحررهم وعتقهم . اما المسيح فقد اراد ان يحقق العتق والانقاذ الحقيقي لا من دار العبودية بمصر بل من عبودية الخطيئة ، جاعلاً هكذا الشعب المسيحي المؤمن يعبر من عالم الخطيئة الى الحياة الابدية التي هي عند الآب السماوي (يوحنا ١/١٣) .

س – ولكن نحن نرى في محاكمة المسيح وصلبه جريمة ، فاين هو طابـــع الذبيحة لافتداء البشر ؟

ج – اجل ان في صلب المسيح لجريمة . لكنه قدّم ذاته طوعاً واختياراً لله ابيه مسبقاً ولاسيما في حفلة تأسيس سر الافخارستيا في العشاء السري ليلة صلبه في جوٍّ مشبع بالصلاة والخشوع ، حيث اخذ كأس الخمرة وباركها وقدّسها وقال لتلاميذه : « اشربوا من هذا كلكم هذا هو دمي العهد الجديد الذي يهراق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا » (متى ٢٦/٢٧) .

س – ان كان المسيح قد افتدى البشرية على الصليب فلماذا اذن يجهد الانسان لأجل خلاصه ؟

ج – لقد افتدى المسيح البشرية جملةً ولكنه لم يعفِ الانسان من

الجهاد والكفاح الفردي فيبقى عليه ان يحفظ وصايـــا الله ويستخدم الاسرار الالهية ويصوم ويصلّي كي يفيد من نعم الفداء واستحقاقاته المدّخرة له .

س – ولكن لِمَ الصليب ؟ اما كان بوسع المسيح ان يفتدي البشر بدون الصلب وآلامه الفادحة واوجاعه الكاوية ؟

ج – كان بمستطاع المسيح ان يفتدي البشر ويصالحهم مع الله ابيه بفعل سجود بسيط يؤديه باسمهم ، لكنـــه آثر الصليب واوجاعه ، لا لأنه كان يتعشق الألم ولا لأن اباه السماوي ظالم يطرب لمرأى الدماء بل ليلقي على البشر تعاليم خالدة تبقى عالقة في اذهانهم ومطبوعة على قلوبهم الى مدى الدهر ، منها :

١ – امثولة في المحبة تحملهم عـــلى ادراك محبة الله غير المتناهية لهم ومبادلته تعالى المحبة بالمثل .

٢ – ليجعلهم يلمسون شناعة الخطيئة التي سببت آلامـــه فيجتنبوها ، والانسان لا يتأثر بشيء مثله في مرأى الدماء جارية على الخشبة امامه .

٣ – ليفهمهم قيمة نفوسهم التي افتديَتْ بدم كريم كي لا يعرّضوها للهلاك .

٤ – كي يكون الصليب انجيلاً ملخصاً ناطقاً يذكّرهم بكل تعاليمه .

٥ – واخيراً كي يكون منهل قوة .

س – وكيف الصليب هو ملخص للانجيل ؟

ج – الصليب هو ملخص للانجيل بمعنى ان المسيح طبّق بموته على الصليب ما كان قد القاه من تعاليم وارشادات على البشر متفرداً بذلك عمّا تقدمه من مؤسسي الأديان والمصلحين الذين قلّما طبّقوا تعاليمهم على حياتهم . اجل كان المسيح قد وضع شرعة المحبة في رأس تعاليمه : « احبب قريبك محبتك لنفسك .. « احبوا اعداءكم .. اغفروا يُغفَر لكم ... ان لم تغفروا « للناس زلأتهم فلا يغفر لكم ابوكم السماوي زلأتكم » (متى ٥/٤٤ لوقا ٦/٣٧ متى ١٨/٢١) . واذا به وهو على الصليب يضع تعليمه هذا موضع العمل فيغفر لصالبيه قائلاً : « يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يدرون مـــا يصنعون » (لوقا ٢٢/٤٤) . امر بمحبة القريب حتى بذل النفس ، وقد بذل ذاته لاجله مطبقاً عليه ما كان قد فاه به : « ما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه » (يوحنا ١٥/١٣) . علّم الناس الصبر على الشدائد والتمرس بالتضحيات ، والتضحية خير وسيلة لكبح جماح النفس الامّارة بالسوء وآمن طريق للخلاص فقال : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني » (متى ١٦/٢٤) وها هو يحمل صليبه حتى الموت . علّم البشر ان يؤثروا الموت على معصية الله والاّ يخافوا من يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس (متى ١٠/٢٨) فشرب كأس العذاب والموت على الصليب وابان للناس في جسده شناعة الخطيئة ، وقد جعلته جرحاً واحداً من رأسه الى اخمص قدميه . وهكذا يبقى الصليب انجيلاً مُصغّراً يوجز تعاليم المسيح بحيث ان من نظر اليه ذكرها في خطوطها الاساسية .

س — وكيف الصليب هو منهل قوة ؟

ج — كان الصليب سابقاً اداة عذاب ورمز ذلٍ وهوان . وقـد اصبح بعد ان مات المسيح عليه منهل قوة وعنوان كرامة ومدعاة فخار ، يرمقه المسيحي بعين الايمان فيرى ينابيع النعم تتدفق عن جنباته ، يراه الشبان فينهلون منه القوة على تحطيم ما كبلتهم به اهواؤهم الثائرة من قيود ، وتتأمله العذارى في الاديار ودور الاحسان فينشقن منه ضوع الطهارة والعفاف ويستقين روح البذل والعطاء في خدمة المتألم والمنبوذ ، يرنو اليه المريض في زفرة وانكسار فيستلهمه الصبر على معاناة الألم ، واذا ازفت ساعة الرحيل يطبع عليه قبلة حرّى مليئة من التأسف والندامة على خطاياه يغمض معها عينيه عن دنيا الشقاء ليفتحها على فجر ابدي رحيب . يرفع اليـه المجرم بصره في حياء بعد ان استحكم به اليأس وخنقه القنوط فيرتد عن يأسه وقد عاوده الرجاء بالحياة ، يعود اليه العامل عند المساء فيلقي على اقدامه ثقل النهار وينهل منـه قوة جديدة ليوم جديد ، تختلس ربة البيت نظرة اليه في غمرة اشغالها المنزلية فتجدد عزمها على المضي في طريق الجهاد ، يخفيه الجندي بين طيات اثوابه فتأتيه الشجاعة لخوض غمرات العراك والموت ، يستصحبه المرسل في مجاهل الارض في حله وترحاله يبثه شكواه وهمومه ويقاسمه اثقاله واتعابه فتهون عليه الاثقال وتنقلب الشكوى على شفتيه ترنيمة عرفان جميل عميق ! وهكذا يصبح الصليب في جميع مراحل الحياة منهل قوة ، فيستطيع ثمت كل مسيحي ان يقول مع الفيلسوف پاسكال : « انني

احب الصليب بسبب المسيح المصلوب عليه واحب المسيح بسبب صليبه » .

س — ولكن ان كان لا بُدَّ من افتداء البشرية بواسطة المسيح فلماذا تأخر موعده؟

ج — ليس لله ماضٍ ولا مستقبل انما هو تعالى في حاضر ابدي، يرى عمل الفداء كأنه ماثل ابداً امامه. لهذا كان منذ نشأة البشرية يبعث رسلاً هداةً يرشدون الناس الى طريق الصلاح بحيث اذا ما لبّوا الدعوة وخضعوا للسُنَّة الطبيعية واجابوا الى صوت الضمير تمكنوا من الافادة من نعم الفداء المقبلة ، وهكذا تمكنت مريم العذراء من الافادة من استحقاقات ابنها يسوع المسيح فعُصِمَت من الخطيئة الاصلية فكانت سلطانة الحبل بلا دنس . وقد تأخر موعد مجيء المسيح كي تستعد له الارض خير استعداد وتسهم في تحضيره فلا يكون فقط ذاك الندى الذي ستقطره السماء ؛ بل ثمرة من ثمار الارض ايضاً ونبتاً من نباتها وليدعى بحق « ابن البشر » . وكان فوق ذلك على البشرية المنغمسة في الحيوانية والوثنية ان تخبر مرارة ابتعادها عن الله كي تتمكن من تذوق حلاوة افتقاده اياها بارساله اليها ابنه متجسداً في شكل انسان . ان طريقة الله في تهذيب البشر تستغرق الوقت الطويل ، لهذا تأخر مجيء المسيح وموعد الفداء .

س — ولكن أليس من مذلة يأباها العقل ان يموت الاله لاجل افتداء خلائقه ؟

ج — ليس من المذلة بشيء ان يموت الاله في طبيعته البشرية لاجل افتداء خلائقه . هي الجودة التي حملته على خلق البشر

وهي الجودة عينها التي حدته على انقاذهم من براثن الشر بعد سقوطهم في الخطيئة — وليست الجودة باحط صفة بالله — فان كان الله غير متناهٍ فلماذا نضع حداً لجودته ؟ اننا نبخسه حقه عندما نضع حدّاً لجودته وحنانه . وان كانت الجودة الباعث الاكبر على الخلق فالمنطق يقضي بان تتابع الجودة عمل الخلق وتصلحه اذا ما طرأ عليه خلل . فمبادرة الفداء نتيجة حتمية لجودة الله بعد سقوط الانسان في الخطيئة . وزد على ذلك ان الفداء اظهر اجمل وجه في الله ، حبه اللامتناهي ، وهو القائل : « ما من حب اعظم من هذا ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه » (يوحنا ١٥/١٣) .

س — لقد ادّعت بدعة مسيحية من الخوارج في القرن الرابع دعيت « بالدوقيين » ان المسيح تألم شكلياً فقط وشُبِّه للبشر وخُيِّل لهم انه صُلِب وتألم ولكنه بالواقع لم يمت مصلوباً بل انتقل الى السماء دون ألم فما قولك بذلك ؟

ج — ان دعاة هذه البدعة بنفيهم الصلب عن المسيح بدلاً من ان يرفعوا مكانته يحطون من قدره بحيث يجردونه من اجمل ما فيه الا وهو تطوعه الاختياري لافتداء البشر ، ويكذبونه المقال لأنه سبق وتنبأ عن موتـــه صلباً اكثر من مرة . وان كان صلبه شكلياً وصورياً فقط فالبشر لا يزالون تحت نير الخطيئة وهم بحاجة الى فادٍ ومخلّص من جديد ، والحال اننا عتقنا من ربقة الشر وتحررنا من عبودية الخطيئة واصبحنا ابناء الله بالتبني واخوة السيد المسيح بفضل سر الفداء كما اوضح ذلك بولس الرسول برسالته الى الرومانيين (٥—٨) .

س ـ كم كانت مدة حياة المسيح على الأرض ؟

ج ـ مدة حياة السيد المسيح على الأرض كانت على الارجح ثلاثاً وثلاثين سنة قضى منها ثلاثين سنة في الناصرة طواها على الحياة المخفية في الصمت والصلاة والعمل الكادح ، وثلاث سنين قضاها في التبشير والكرازة بالانجيل. ومات يوم الجمعة العظيمة وهو في الثالثة والثلاثين من عمره .

الدرس السادس

قيامة المسيح من بين الأموات

س — كيف انتهى سر الفداء ؟

ج — انتهى سر الفداء بقيامة المسيح من بين الاموات .

س — وهل قيامة المسيح من بين الاموات تؤلف جزءاً من سر الفداء ؟

ج — نعم ان قيامة المسيح من بين الاموات تؤلف جزءاً من سر الفداء لأن المسيح لم يمت الآ ليقوم ويمنح الحياة للنفوس بقيامته المجيدة ، فكما انه مات مصلوباً لينال نعمة الفداء للنفوس ويحررها من عبودية الخطيئة ، كذلك قام من الاموات ليمنحها حياة النعمة ، حياة ابناء الله ، ويفتح امامها طريق الحياة والخلود ، فالقيامة جزء لا يتجزأ من الفداء ، وكما قال بولس الرسول « ان كان المسيح لم يقم فتبشيرنا اذن باطل وايمانكم باطل » (١ كورنتس ١٥/١٤) . لكن المسيح قام وقيامته واقع تاريخي لا سبيل الى انكاره .

س – وما هي البراهين القاطعة على قيامة المسيح من بين الاموات ؟

ج – البراهين القاطعة على قيامة المسيح من بين الاموات هي شهادة الرسل والتلاميذ والقبر الفارغ الذي دُفِنَ فيه وقد شَدَّد رؤساء الكهنة والشيوخ والفريسيون الحراسة عليه خشية ان يقوم فيرتد كيدهم الى نحرهم وتكون قيامته انخذالاً لهم .

س – وهل شهادة الرسل والتلاميذ عن قيامة المسيح صادقة ؟

ج – نعم ان شهادة الرسل والتلاميذ عن قيامة المسيح لصادقة لكونهم رووا ما رأوا وشاهدوا عن طبعية وسذاجة ونزاهة وكانوا بعيدين كل البعد عن الامراض النفسانية والجسدية .

س – وماذا تعني انهم رووا عن طبعية وسذاجة ؟

ج – اعني انهم كانوا سُذّجاً وبسطاء ، دوّنوا ما شاهدوا من حوادث دون تحريف او تزييف وقد ابدوا كثيراً من الحذر والريبة حول ما نُقل اليهم من اخبار قيامة المسيح ونسبوا كلام النساء اللائي رأينه بعد القيامة الى الهذيان : « فكان عندهم هذا الكلام كالهذيان ولم يصدقوهن » (لوقا ١١/٢٤) . فضلاً عن انهم كانوا يمنّون النفس شأن جميع الاسرائيليين بمسيح زمني يؤسس مملكة عالمية يكونون فيها سائدين ومسلطين وقد فُجِعوا بهذه الآمال العِذاب يوم شهدوا مأساة الجلجلة الدامية . وما جواب تلميذي عماووس لمعلمهم الذي لم يعرفاه بعد القيامة سوى دليل على خيبة هذه الآمال وقد باحا له بذلك : « كنا نأمل انــه هو الذي يفتدي اسرائيل » (لوقا ١٣/٢٤–٣٤) . « كنا نأمل » وكأنهما يقولان واما الآن

فقد ضاع الامل ومات المسيح ومن مات مات . وان مـــا يدل على ضيعة الامل ايضاً ما استولى على الرسل من خوف دفعهم الى التستر والتخفي (يوحنا ٢٠/١٩) وذلك ان فكرة القيامة التي كثيراً ما حدَّثهم عنها السيد المسيح كانت قد غربت عن بالهم (متى ١٢/٣٨، متى ١٦/١٤ و٢٠/١٩، يوحنا ١٠/١٧ و٢٠/١٨) فلو لم يقم المسيح حقاً من بين الاموات لما اذعن لها عقلهم وتصورها خيالهم لأن العقل لا يستسيغها عفواً ولما تجرأوا على التحدث عنها .

س — وماذا تعني انهم رووا بنزاهة ؟

ج — اعني انهم كانوا بعيدين عن الكذب والخداع والمطامع . ولِمَ تراهم يكذبون وقد حقروا الدنيا وزهدوا بامجادهـــا ليتفرغوا للتبشير بالانجيل وهم يعلمون كل العلم ان التبشير بالانجيل والمناداة بالمسيح إلهاً وممجداً قام من بين الاموات بعد ان اماته الفريسيون ورؤساء الكهنة يعرضهم للاضطهاد والموت ؛ وقد جادوا بارواحهم اثباتاً لما بشروا به .

س — وماذا تعني ان الرسل والتلاميذ كانوا اصحاء العقل والجسد ؟

ج — اعني انهم كانوا متمرسين بالمشقات وطالما احيوا الليالي سهراً في بحيرة طبريا طلباً للرزق من صيد الاسماك ، وهم ابعد الناس عن ان يؤخذوا بالاوهام وهل يؤخذ بالاوهام دفعةً واحدة احد عشر رسولاً وما يتبعهم من الآخرين الذين كان يربو عددهم على الخمسمائة كما جاء برسالة القديس بولس الى الكورنثيين (١ كورنتس ١٥/٦) ؟ وزد على ذلك ان توما

احد الرسل الاثني عشر الذي كان غائباً عن اورشليم وقت حادث الصلب والقيامة صرَّح علانيةً انـــه لن يؤمن بذلك حتى يعاين ويلمس بيديه اثر المسامير فظهر له السيد المسيح في اليوم الثامن بعد قيامته بينما كان مجتمعاً ورفاقه ووبَّخه على قلة ايمانه ودعاه لكي يأتي ويضع يده في جنبه الذي طُعِنَ بحربة الجند ويلمس اثر المسامير (يوحنا ٢٠/٢٤-٢٦).

س – ولماذا وجود القبر فارغاً برهان قاطع على صحة قيامة المسيح من بين الاموات؟

ج – ان وجود القبر فارغاً بعد ان دفن فيه السيد المسيح لبرهان قاطع على صحة قيامته من بين الاموات لانه يحمل على افتراضين لا ثالث لهما : إمَّا ان يكون الرسل سرقوا الجثة وإمَّا ان يكون المسيح قام من بين الاموات بقوته الذاتية. والافتراض الاول باطل لاسباب عديدة اهمها انه لا سبيل الى سرقة الجثة وقد شُدِّدَ وبولغ في حراسة القبر ، لا سيما وان المسيح كان قد اعلن قبل موته بانه سوف يقوم ، والرسل قوم ضعفاء شتَّتهم فاجعة الجلجلة وقد رأينا كبيرهم بطرس يخشى جارية ، ولا سبيل الى رشوة الحراس والرسل فقراء لا اموال لديهم ولا ارزاق والحرس والجنود من اخلص المخلصين لاسيادهم الفريسيين ورؤساء الكهنة ، يقبضون اموالهم ويعملون باوامرهم . وبعد ، ما نتيجة السرقة ؟ ان يخدع الرسل الناس واي معوّل على جثة ؟ ولكن أتراهم يخدعون انفسهم ؟ ويصرون على المكابرة والخداع حتى الاستشهاد وبذل الروح ؟ ثم ان تبعة الخديعة تقع على المسيح عينه . أتراه يختار قوماً كذبة لنشر رسالته

ويروح يؤيد اقوالهم بما زوّدهم من قوة على صنع العجائب وقد وعدهم انه سيكون معهم الى منتهى الدهر ؟ ان افتراضاً كهذا تأبى العقول السليمة التسليم به لأن فيه من التناقض ما لا يتفق وقداسة المسيح ابن الله . ثم ان البلبال الهائل الذي حدث في المدينة لما شاع الخبر بقيامة المسيح كان قد ارغم دون ما ريب السلطات الحكومية على البحث عن الجثة وعرضها على الشعب تهدئةً للخواطر ومنعاً للناس عن اعتناق الدين الجديد فيما لو لم يقم . فلا يبقى اذن الا التسليم بالافتراض الثاني وهو واقع قيامة المسيح من بين الاموات بقوته الالهية .

س— وهل جاء في كتب النبوءات ان المسيح سيقوم من بين الاموات كما جاء الكلام عن آلامه ؟

ج — نعم جاء في كتب النبوءات عن قيامة المسيح من بين الاموات. هكذا تكلّم صاحب المزمور ١٥ بلسان المسيح القائم من بين الاموات قائلاً : « لأنك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تدع قدوسك يرى فساداً » (مز ١٥/١٠) . والى هذا النص المع القديس بطرس في خطابه الاول امام جمهور الشعب باورشليم لما اعلن حدث القيامة (اعمال الرسل ٢/٢٣-٢٧) .

الدرس السابع

المسيح سيّد التاريخ والزمن

المسيح وشهوده

س — ماذا عنى السيد المسيح بكلامه الاخير الى تلاميذه بعد قيامته : « لقد أعطيت كل سلطان في السماء والارض اذهبوا وتلمذوا الامم معمدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس وها أنذا معكم كل الايام الى منتهى الدهر » (متى ٢٨ / ١٨) ؟

ج — عنى السيد المسيح بكلامه هذا انه تسلم سلطاناً روحياً على النفوس منْ الله ابيه وانه سيد التاريخ والزمن وان احداث التاريخ لن تُصنَع فيما بعد الاّ بأمره او بأذن منه .

س — وما معنى كلامه «وها أنذا معكم كل الايام الى منتهى الدهر» (٢٨ / ٢٠) ؟

ج — معنى هذا الكلام ان المسيح ليس بشخص تاريخي وحسب شأن رجالات التاريخ العظام الذين لعبوا دورهم وتواروا ما وراء حجب الوجود بل انه شخص حي يدوم الى الابد ، يبقى مع تلاميذه وخلفائهم الى منتهى الدهر ، يمدهم بعونه الالهي حتى يتابعوا رسالته الخلاصية على ارض البشر .

س — ما معنى قوله ايضاً «ستنالون قوة الروح القدس فتكونون لي شهوداً في اورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة والى اقصى الارض» (اعمال الرسل ١ /٨) ؟

ج — معنى قوله هذا انه يطلب من تلاميذه ان يكونوا له شهوداً اي ان يؤدّوا له شهادة روحية ما بين البشر.

س — ومن هو الشاهد ؟

ج — الشاهد هو الذي يشهد امام محكمة القضاء ويصرّح جهراً بما سمع وشهد بأم العين.

س — وبأي نوع طلب المسيح من تلاميذه ان يكونوا شهوداً له ؟

ج — طلب المسيح من تلاميذه ان يكونوا شهوداً له بكرازتهم وبسلوكهم.

س — كيف يشهدون له بكرازتهم ؟

ج — يشهدون له بكرازتهم بحيث يفتحون دعواه من جديد امام الملا ويكذّبون الشيوخ والكهنة وحكام رومـــا واسرائيل بان المسيح الذي صلبوه ودفنوه وضبطوا قبره وحرسوه بحرّاسهم وجنودهم قد زحزح اللحد وقام منتصراً من بين الاموات كما سبق وتنبأ عن ذلك ؛ وقد ظهر لرسله وتلاميذه واتباعه والقى عليهم تعاليم وارشادات جديدة وهم شهود لهذا الحدث التاريخي.

س — وكيف يشهدون له بسلوكهم ؟

ج — يشهدون له بسلوكهم بحيث يطبّقون سلوكهم عـــلى تعاليمه وينسجون حياتهم على منواله فيصبحون ثمت انجيلاً حياً امام البشر يذيعون برّ الله وصلاحه، ويظهرون ان المسيح ابن الله

مقيم فيهم ما برح يتابع حياته على الارض من خلال حياتهم ليهدي البشر الى الحق والصلاح .

س – وهل تمَّم الرسل والتلاميذ ما امرهم به السيد المسيح بخصوص تلك الشهادة ؟

ج – لقد تمَّم الرسل والتلاميذ ما امرهم به معلمهم الالهي وشهدوا له بكرازتهم وسلوكهم فجابوا انحاء المعمور وجابهوا قوات الشر والفساد المتفشية في الكون وقوّضوا معالم الوثنية ونشروا رايـــة الانجيل والحق في كل مكان محتملين شتى صنوف التعذيب والاضطهاد وقد قرَّبوا اعناقهم للذبح موقعين شهادتهم بدمائهم.

س – وهل كانت شهادتهم مقبولة بعين المسيح ؟

ج – نعم لقد سُرَّ المسيح دون ما ريب بشهادتهم وشهد لهم بدوره فاعطاهم موهبة صنع العجائب ومنحهم قداسةً من قداسته وصلاحاً من صلاحه اعانهم عــلى تثقيف الشعوب والامم وتخليقهم باخلاقية الانجيل وآدابه الصارمة فنبتت الفضيلة في كل موضع اقاموا فيه ، ممَّا برهن للعالم ان المسيح حقيقةً هو إله وانه مقيم في كنيسته الى الابد .

س – بما ان رسالة المسيح تدوم الى منتهى الدهر يتحتم عليه اذن والحال هذه ان يقيم له من بعد التلاميذ شهوداً يشهدون له فهل اقام له مثل هؤلاء الشهود؟

ج – نعم لقد اقام المسيح له شهوداً آخرين بعد التلاميذ على توالي العصور وقفوا نفسهم لاجله ، بعضهم شهد له بجهاده واتعابه وبعضهم بتجرده وفقره ، غيرهم بتفانيه ومؤاساته للمعدمين في الحياة والمعذبين وغيرهم بغيرته الوقّادة عــلى احلال العدالة

الاجتماعية في المجتمع وخلاص النفوس ، هذا بنسكه وعبادته وتبتله وذاك بعبقريته وقلمه ، جميعهم كانوا وما فتئوا يتسابقون لاحياء ولو مظهراً واحداً من مظاهر حياته ، مجازفين بارواحهم لاجله ، فنالوا — وهنا معجزته الكبرى — ما كانوا يتوقعون من تلك المجازفة ، قداسةً جعلتهم يفوقون مستوى البشر ، فظهروا قنناً للانسانية ومعالم نور وطبعوا عصورهم بطابعهم الروحاني الخاص ، فهؤلاء الشهود الجدد هم القديسون او الاولياء.

س — ومن هو القديس او الولي؟

ج — ليس القديس ذاك الحكيم او الفيلسوف او العبقري او البطل — وقد يتفق للقديس ان يكون احياناً فيلسوفاً وعبقرياً وبطلاً — لكن القديس هو قبل كل شيء كالنبي سابقاً في تاريخ اسرائيل « رجل الله » . هو ذاك الانسان الذي كفر بنفسه وتخلّى عن انانيّته ليكون اداة طيّعة بيد الله يتمم ارادته تعالى وينفّذ اوامره[1] .

س — وهل تعرف امثال هؤلاء الاولياء القديسين ؟

ج — انهم لكثيرون يُعدّون بالمئات والالوف ، يكفي ان نذكر اهمهم كالقديس بولس الرسول والقديس اوغسطينس ، القديس يوحنا فم الذهب ، القديس بندكتوس ، القديس فرنسيس الاسيزي ، القديس توما الاكويني ، القديسة كاترينا السيانية ، القديس

---

١) هذا التحديد مأخوذ من جان غيتون الفيلسوف الفرنسي المعروف في كتابه عن « مشكلة يسوع » JEAN GUITTON, *Jésus* : Éd. Bernard Grasset. Paris. 1956, p. 407-410.

اغناطيوس دي لويّلا ، القديس فرنسيس كسفاريوس ، القديسة ترازيا الآبلية ، القديس منصور دي پول ، القديس جان بوسكو ، الطوباوي شربل مخلوف وغيرهم .

س — ولماذا القديسون يظهرون وجود المسيح وعمله المباشر في الكنيسة ومن ثمّ الوهيته ؟

ج — القديسون يظهرون وجود المسيح وعمله المباشر في الكنيسة ومن ثم الوهيته لأن القداسة لا تأتي عن طريق القداسة او الوراثة فالقديسون لا يلدون القديسين وليس ثمت قالب او نموذج لصنع القديسين . هو المسيح دخل مباشرةً في حياة اناس مختلفي الاجناس والاعراق والاطباع ، منهم العامل والاستاذ والناسك والكاهن والرسول والشهيد والزوجة والأم والشاب والفتاة، فغيّرهم ووجّه مجرى حياتهم ونشاطهم نحو هدف معلوم ومحدّد من قبله ممّا جعلهم يُظهرون في حياتهم مظاهر حياته السابقة على الارض او اقله مظهراً واحداً تكون البشرية بحاجة اليه للنهوض من كبوتها ، ويصبحون ثمت هداة للانسانية على غراره ومثاله . كان للمتصوفين وللمعلمين تلامذة واتباع ، ولكن ما كان تلامذتهم يوماً امتداداً لشخصهم . اما المسيح فقد اوجد في رسله وتلاميذه وقديسيه لا شهوداً فحسب بل امتداداً لشخصه على ارض البشر . لم يوحِ الكمال للقديسين وحسب بل صنعه وكوّنه فيهم (من اقوال جان غيتون ايضاً عن القديسين) .

س — هل يجب ان تنتظر البشرية رسولاً من السماء يقودها الى الله بعد المسيح ؟

ج — لا تستطيع البشرية ان تنتظر رسولاً من السماء يقودها الى الله بعد المسيح ، اذ ان السماء افرغت كل ما لديها من كنوز واغدقت على البشر كل ما لديها من نعم وبركات مع المسيح. والدين المسيحي ليس مجموعة حقائق ايمانية وشرائع ادبية وسنن اجتماعية كغيره من الاديان . انما هو حدث — لا بل الحدث — يقوم على تجسد ابن الله ، واقحامه نفسه في تاريخ البشر ومعايشته اياهم مدةً من الزمن وموته وقيامته لاجل افتدائهم وتأليههم بنوع ما . وهو الحدث الذي مهَّد له الله بما ضمَّن العهد القديم من احداث ، كان اولها اختياره لابراهيم اباً لشعبه ، ثم انزاله الشريعة على موسى في طور سينا وعقده العهد مع شعب اسرائيل ، وارسال الانبياء من اشعيا الى إرميا وحزقيال وغيرهم ، الذين كان ظهورهم مراحل في سير التاريخ البشري الى تحقيق الخلاص . فكان ظهور المسيح في شكل بشري المحجة التي سارت اليها البشرية ، والغاية التي هدف اليها التاريخ ، والأمل الاخير الذي داعبه خيال الانسان . ظهر المسيح فحصلت البشرية على تحقيق رغباتهــا واصبح الناس ابناء الله بالتبني وورثة لملكوته السماوي ، وهذا منتهى ما يستطيع ان يحلم به انسان . فالدين المسيحي اذن هو غاية الغايات ، والأمنية القصوى التي راودت خيال الاولين الذين طمعوا بالالوهة وقد انالهم المسيح مطمعهم بالنعمة التي افاضها عليهم ، بعد ان جمع البشر اجمعين بشخصه في عائلة واحدة ، كما جمع بشخصه السماء والارض . فباطلاً ينتظر الناس من

ثم حدثاً جللاً يبدّل تاريخ حياتهم غير هذا الحدث . وكل محاولة اصلاحية دينية غير التي قام بهـــا المسيح لن تكون سوى رجعة في عجلة التاريخ الى الوراء وادخال البشرية في حلقة مفرغة لا نهاية لها ، والتاريخ لا يرجع الى الوراء . لأن عمل المسيح هو ما انتظرته البشرية ولا سبيل الى اكماله بسواه ، ومن حاول ذلك مُني حتماً بالفشل . لأن المسيح هو الإله المرتجى والانجيل هو الكلمة التي ما بعدها كلمة ، والقول الفصل في مصير الانسان .

الدرس الثامن

مريم العذراء

س — من هي مريم العذراء ؟

ج — هي ام يسوع الناصري المدعو المسيح ، كلمة الله او ابنه الازلي المتجسد .

س — ما هي صلة مريم العذراء بالثالوث الاقدس ؟

ج — ليس لمريم العذراء اية صلة بالثالوث الاقدس ، سوى صلة الخليقة بخالقها وباريها . فالثالوث الاقدس هو الله الواحد الخالق ومريم العذراء هي احدى خلائقه .

س — اليس لمريم العذراء امتياز على باقي الخلائق ؟

ج — نعم لها امتياز على باقي الخلائق بان الله اصطفاها وطهّرها مسبقاً من وصمة الخطيئة الاصلية وفضّلها على نساء العالمين لتحبل بالمسيح ، كلمة الله المتجسد ، بدون زرع بشري ، وتهبه جسداً من جسدها ودماً من دمها ليريقه على الصليب ذبيحة خلاصية لافتداء البشرية .

س ــ ولكن ماذا يخوّلها هذا الامتياز من الحقوق ؟

ج ــ يخوّلها هذا الامتياز من الحقوق بان نكرّمها اكراماً فقط ــ لا ان نعبدها ــ لأن العبادة مختصة بالله وحده .

س ــ ولكن بما ان العبادة محظورة عليها فلماذا اذن توضع لوحات وصور وتماثيل لها في الكنائس تمثل بعض المشاهد من حياتها ؟

ج ــ توضع هذه اللوحات والصور والتماثيل لها في الكنائس لكي تذكّر المؤمنين بسمو فضائلها وتحثهم على الاقتداء بها وعلى عبادة الله عبادة مثالية على شاكلتها .

س ــ ولمّا كانت خليقة فقط فلماذا ندعوها في الصلاة « يا أمّ الله » ونطلب شفاعتها أليس هناك من تناقض ؟

ج ــ ندعوها في الصلاة « يا أُمّ الله » لا لأنها ولدت الله ــ والله خالقها وباريها ــ ولكن لأنها ولدت المسيح ابن الله المتجسد الذي كان يدعوها « يا امي » . ولهذا ليس هنالك من تناقض بان ندعوها في الصلاة « يا أُمّ الله » كي تتوسل لاجلنا وتشفع بنا عند ابن الله الازلي الذي هو بالوقت نفسه ابنها.

س ــ وهل مكثت مريم بكراً عذراء حتى بعد ولادة ابنها يسوع المسيح ، ألم تلد اولاداً آخرين من يوسف ؟

ج ــ لقد مكثت مريم بكراً عذراء حتى بعد ولادة ابنها يسوع المسيح ولم تلد اولاداً آخرين من يوسف لأنها ساكنته مساكنة الاخت لاخيها بتدبير الهي ؛ وقد كان يوسف ستاراً عليها ومعيناً لها على كسب معيشتها كما قلنا آنفاً في الدرس الثاني من هذا التعليم .

س – ولكن الانجيل تكلّم على اخوة يسوع وذكر اسماء البعض منهم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا (متى ١٢/ ٤٦ و١٣/ ٥٥ ويوحنا ٧/ ٣) فما قولك عن هؤلاء الاخوة ؟

ج – كلمة « اخوة يسوع » مفادها هنا اقاربه وانسباؤه ذلك لأن كلمة « أخـا » بالعبرية وفي عادات الشرقيين والساميين بنوع خاص تدل على كلمة الاخ وابن الاخ وابن الاخت وابن العم وابن العمة وابن الخال وابن الخالة وما الى ذلك من ذوي القرابة الدموية ، كما تدل مثلاً لفظة cousin عند الفرنسيين على كل نسيب تشده الى الانسان وشائج دموية . ولنا دليل على ذلك من الكتاب المقدس نفسه في سفر اخبار الايام الاول في الفصل الثالث والعشرين ، في الآية الثانية والعشرين حيث نقرأ : « ومات لعازر ولم يكن لـــه بنون بل بنات فاخذهن اخوتهن بنوقيش » . فلفظة « اخوتهن بنوقيش » ليست سوى نوع من القرابة لبنات لعازر فقط . وانك لتعاين حتى في ايامنا هذه في الهند مثلاً حيث يسأل الاستاذ في المدرسة من طالب عن نوع القرابة التي تربطه بالطالب الآخر قائلاً له : « هل هذا الطالب هو اخوك لابيك او اخوك لعمك او لخالك ؟ » فيجيب الطالب : « هو اخي لابي » ان كان اخاه بعرفنا نحن ، والاّ فيجيب : « هو اخي لعمي او لعمتي او لخالتي او لخالي » وما الى ذلك . . . ثم ان السيد المسيح لما كان معلّقاً على الصليب يجرع كأس الموت اوصى تلميذه يوحنا بأُمه مريم العذراء بقوله له : «هذه امك» ، لكي يعنى بأمر معيشتها . وبالواقع اخذها التلميذ يوحنا الى

بيته ليُعنى بامرها بعد موت ابنهـــا يسوع وقيامته من بين الاموات ، كما جاء في انجيل يوحنا نفسه : « ومن تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته » (يوحنا ١٩/٢٧) . فلو كان لمريم العذراء اربعة اولاد غير المسيح فهل من المعقول ان تكون قد تركتهم جميعهم والتحقت بالتلميذ يوحنـــا لتقضي سنيها الاخيرة على الارض عنده ؟ وهل يعقل بان يرضى رجال اربعة ان تذهب أُم قديسة وكاملة كأُمهم مريم العذراء وتلتحق بيوحنا التلميذ لكي يقوم بأودها وهم في قيد الوجود؟ فيبقى ان كلمة « اخوة يسوع » في الانجيل ، مفادها اقاربه وانسباؤه لأمه او لمربيه يوسف النجّار .

الدرس التاسع

المسيح والكنيسة

١ ـ مفهوم الكنيسة

س ـ ما هي الكنيسة ؟

ج ـ الكنيسة هي « سر الله المكتوم » الذي تكلم عليه بولس الرسول ، والذي ينطوي على حقيقة الهية ، وبالاحرى على المخطط الالهي الذي كان يجول في فكر الله منذ الازل حيث سبق وحدد ان يخلص كل كائن مخلوق بواسطة ابنه الوحيد او كلمته الازلي ، يسوع المسيح : « باعلانه لنا ، على حسب مرضاته ، سر مشيئته ، الذي سبق فقصده في نفسه ليحققه عند تمام الازمنة ، اي ان يجمع تحت رأس واحد في المسيح كل شيء ، ما في السماوات وما على الارض ، وفيه ايضاً دعينا وقد اصطفينا من قبل ، بمقتضى قصد يعمل كل شيء حسب مرضاته ، لنكون تسبحة لمجده ، نحن الذين سبقوا فاناطوا رجاءهم بالمسيح » (افسس ١/٩-١٢) .

ويقوم جوهر الكنيسة على ان الله الذي ليس بحاجة الى احد ، استخص له ، رغم خطايا البشر ، بدافع حب مجاني ،

شعباً مختاراً ، بل قل اسرة كبرى او جماعة بنين ، ليعيشوا معه كأبناء بررة مع ابيهم ، منذ هذه الدنيا ، ريثما يلتفون حوله ويتحدون به نهائياً في دنيا الابدية . ولكي يحقق الله هذا الحلم الجميل الذي كان يراوده منذ الازل ، ارسل ابنه الوحيد او كلمته الازلي ، الى ارض البشر ، لكي يتجسد ويصير بشراً سوياً ، يدعو البشر الى الدخول في ملكوت ابيه السماوي ، ويحطم بموته على الصليب سلطان الموت وقيود الخطيئة ، ويمنح بقيامته من بين الاموات الحياة الالهية للبشر ، فيصبح من ثم « بكراً من بين اخوة كثيرين » اي رأس الأسرة البشرية الكبرى المتجددة ، ينبوع حياة يرد منه جميع العطاش الى الاله الحي . **فالبشرية المتجددة بقيامة المسيح من بين الاموات، التي تحيا منه وبه تدعى الكنيسة** . ولقد قلّدها رئيسها ومؤسسها يسوع المسيح السلطان الذي تلقّاه هو ذاته من ابيه ، لكي تمنح الولادة الروحية من العلاء او الحياة الالهية لجميع الراغبين بالانتساب اليها يومَ جمع رسله وتلاميذه والبعض من اتباعه على جبل الزيتون ، قبيل صعوده الى السماء ، وقال لهم : « لقد دفع اليّ كل سلطان في السماء والارض . فاذهبوا وتلمذوا جميعَ الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به ، وها أنذا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » (متى ٢٨/١٨) .

— فالكنيسة هي اذاً شعب الله ، اي جماعة الاخوة المتحدين بالله في يسوع المسيح المخلّص الفادي، المولودين ولادة روحية من العلاء بواسطة المعمودية ، والمدعوين ليعيشوا منذ هـــذه

الدنيا ، تحت ظل الروح القدس وقيادة الحبر الاعظم خليفة بطرس زعيم الرسل والجماعة الاسقفية ، خلفاء الرسل الشرعيين ، حياة ابناء الله ، حياة مواطنين صادقين للوطن السماوي، ريثما يشاركون الله سعادته الابدية في دنيا الخلود .

– غير ان تأسيس الكنيسة كان على مراحل متعددة :

المرحلة الاولى : اختيار الله لابراهيم (في العهد القديم)

لكي يحقق الله مخططه الالهي الخلاصي على البشر ، اختار رجالاً صدّيقين اوفياء ، ائتمنهم على سره وارادهم ان يكونوا منفذي قصده وصورة مسبقة للمخلّص المنقذ والفادي الذي سيرسله يوماً للبشر . اولّهم ابراهيم والآباء الاقدمون ثم موسى . وبواسطة ابراهيم وموسى كوّن شعبه المختار بني اسرائيل ، وراح يمتحنهم ويصفيهم كالذهب في النار ، من عبورهم بحر القلزم (بحر الاحمر) وتوههم في الصحراء مدة اربعين سنة، الى تذليلهم في عهد الملوك ، ثم الى تشريدهم وتعذيبهم في جلاء بابل مدة خمس وثلاثـــين سنة . وفي كل من تلك المراحل كان شعب الله يطوي شوطاً وبالتالي يعدّ مظهراً تأسيسياً من كنيسة المسيح العتيدة . ودليلنا على ذلك وعد الله لابراهيم : « وانا اجعلك أمة كبيرة واباركك وأعظّم اسمك وتكون بركة ... ويتبارك بك جميع عشائر الارض » . (تك ١٢/٢). فالكنيسة هي جماعة اولئك الذين يباركون الله — « ومباركة ثمرة بطنك يسوع » (لوقا ٤٤/١) — بعد ان نالوا حظوة في عينيه تعالى . واكثر من ذلك فالكنيسة هي نفسها تلك البركة السماوية

المعطاة للبشر . فكما ان وجود ابراهيم كان عربوناً للطف الله بالبشر ، هكذا الكنيسة هي عربون لوجود لطف الله بالبشر وعلامة حسية لشفقته عليهم . لهذا نرى شعب الله المبارك في العهد الجديد يثني عـلى الله ويعلن عرفانه بجميله تعالى ، بلسان بولس الرسول فيقول :

« مبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح ، الذي غمرنا من علياء سمائه ، بكل بركة روحية في المسيح ، اذ فيه قد اختارنا عن محبة من قبل انشاء العالم ، لنكون قديسين ، وبغير عيب امامه ، وسبق فحدّد على حسب مرضاته ان نكون له ابناء بيسوع المسيح لتمجيد نعمته السنية التي انعم بهـا علينا في الحبيب ، وفيه لنا الفداء بدمه ومغفرة الزلات على حسب نعمته » (افسس ١/٣-٨) .

المرحلة الثانية : عهد سيناء

عقد الله عهداً مع بني اسرائيل بعـد خروجهم من مصر بواسطة موسى في سيناء ، ومن قبائل مشردة لا رباط لها ، اصبح بنو اسرائيل شعباً ذا كيان وشخصية ، له ربه يهوه ، وله شريعته (الوصايا العشر) وله طقوس عبادة، شعباً مختاراً، ذا طابع ملوكي وكهنوتي معاً ، مكرّساً لله ، ليكون شاهداً له بين الامم . « فصعد موسى الى الجبل ، فناداه الرب من الجبل قائلاً : كذا تقول لآل يعقوب وتخبر بني اسرائيل . قد رأيتم ما صنعت بالمصريين وكيف حملتكم على اجنحة النسور واتيت بكم الي . والآن ان امتثلتم اوامري وحفظتم عهدي ،

فانكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب، لان جميع الارض لي . وانتم تكونون لي مملكة احبار وشعباً مقدّساً » (خروج ١٩/٣-٦) .

المرحلة الثالثة : جلاء بابل (او الخروج الثاني والرجوع الى ارض ابراهيم)

عاقب الله بني اسرائيل بسبب معاصيهم وسلّط عليهم نبوكدنصر ملك بابل . فاعمل السيف والنار في اورشليم حاضرتهم ودمّر هيكل سليمان عنوان مجدهم سنة ٥٨٧ ق. م. وساق معه الى بابل اعيان الشعب ونخبته ورؤساء كهنته حيث قضوا خمساً وثلاثين سنة يعانون ألم المنفى والأسر والاستعباد تكفيراً عن معاصي الشعب . لكن الله عاد ورحمهم ووعد « البقية الباقية » منهم بواسطة حزقيال النبي واشعيا النبي الثاني بخلاص قريب يكون لهم بمثابة خروج ثانٍ (حزقيال ٣٦/٢٤-٢٨ ، اشعيا ٤٣) . فكانت اقامة اسرائيل في جلاء بابل تحضيراً لا بل صورة بعيدة للكنيسة العتيدة المؤلفة من الخطأة التائبين ، وكانت عبادة الشعب داخلية وروحانية اكثر منها خارجيـــة وطقسية . وهناك ، على انهار بابل ، نبتت عند انبياء المنفى فكرة الخلاص الجماعي الشامل الذي سيتخطى يوماً شعب اسرائيل ويتناول شعوب الارض قاطبةً ، وستكون « البقية الباقية » مؤلفة من فقراء « يهوه » اي من الفقراء روحاً ومن اي شعب كان ، والمسيح المنتظر ، سوف يكون واحداً منهم . لن يكون ملكاً زمنياً ذا سطوة وجبروت ، كما كان يتوقع زعماء الشعب ، بل روحياً ، وديعاً ومتواضعاً ، يبشّر بملكوت الله ، كما جاء في نبوءة صفنيا النبي : « لأني حينئذٍ اجعل

للشعوب شفة نقية ليدعوا جميعهم باسم الرب وليعبدوه بكتف واحدة . عن عبر انهار كوش المتضرعون اليّ . بنو شتاتي يقرّبون لي تقدمة . في ذلك اليوم لا تخزين بشيء (يا اورشيم) من اعمالك التي عاصيتني بها ، لأني حينئذٍ انزع من بينك المرحين معك بتكبر ، فلا تعودين تتشامخين من بعد في جبل قدسي . وابقي فيما بينك شعباً وديعاً فقيراً ، فيعتصمون باسم الرب » (صفنيا ٣/٩) .

المرحلة الرابعة : ولادة الكنيسة وبدايتها

وُلدت الكنيسة بتجسد ابن الله ، الكلمة الازلي ، ودخوله الزمن والتاريخ ، يوم قالت امه العذراء مريم لله : نعم ! وقبلت ان تكون اماً لابنه المتأنس . وهبت مريم ذاتهـــا لله لتعمل بارادته الالهية وتتيح له ان يحقق بواسطتها مخططه الخلاصي على البشرية ، وقد أتمت خضوعها لله على اكمل وجه وكانت بذلك قدوة للكنيسة التي ستتعلم منها طريقة قبول المسيح في داخلها ، ومسلكها في خدمته واسلوبها في اشاعته .

ـــ ثم مع ميلاد المسيح في بيت لحم وُلد ملكوت الله بين البشر وتم لقاء الله بالانسان والانسان بالله ، في شخص المسيح وتحققت مواعيد الرب للآباء والانبياء .

ـــ ستكون الكنيسة اولاً للفقراء والمساكين اذ ان المسيح وُلد في جو من الفاقة منقطع النظير وعاش عاملاً كادحاً يحترف النجارة ومات مصلوباً عرياناً .

ـــ وستكون الكنيسة مدعاة خلاص لجميـــع الشعوب اذ ان

رسالتها تقوم باشاعة المسيح الى كل ذي ارادة صالحة ، دون ايّما استثناء .

المرحلة الخامسة : المسيح يعلن حلول ملكوت الله ويبدأ بتأسيس الكنيسة

لما بلغ المسيح الثلاثين من سنيه ، ترك الناصرة واخذ ينادي ببشارة الخلاص ويقول : « قد تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل (اي ببشارة الخلاص) . » (مرقس ١/١٤) . وقد عني بملكوت الله سلطانه الابوي الموطد نهائياً في قلوب البشر ومن المعلوم ان علامات حلول ملكوت الله لم تكن سوى المعجزات والآيات التي كان يصنعها المسيح رفقاً بالبشر ولا سيما عندما كان يطرد الشياطين من المجانين ، معلناً بذلك تقويض سلطان ابليس بين البشر (مرقس ١/٢٤) .

ـ أسّس المسيح الكنيسة لما بدأ يختار تلاميذه وقد انتقى من بينهم اثني عشر شخصاً دعاهم رسلاً . فرزهم عن الناس وعني بتثقيفهم ليؤازروه ببشارة الخـــلاص ثم ليخلفوه في العمل . واختياره الاثني عشر دليل واضح على قصد سابق يرمي الى تحقيق جزءًا من مخطط الله الكبير بشأن خلاص البشر . ولا شك ان اختياره اثني عشر رسولاً كان رمزاً لاسباط اسرائيل الاثني عشر اذ انهم سيؤلفون النواة الاولى للاسرئيل الروحاني الكبير ، لشعب الله الجديد ، الكنيسة . هذا ما يستبان من كلام المسيح لرسوله بطرس .

« انتم الذين تبعتموني في جيل التجديد ، متى جلس ابن
« البشر على كرسي مجده تجلسون انتم ايضاً على اثني عشر

« كرسياً وتدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر» (متى ١٩/١٨) .
وقد يتضح لنا هذا المخطط بنوع جلي في المعجزة التي صنعها المسيح بتكثير خمسة ارغفة الخبز والسمكتين لاشباع جموع الجائعين الذين كان قد اقتادهم الى البرية ليلقي عليهم الكلمة وكانوا متلهفين لسماعها منه . ففي هذا الاطار الشبيه باطار صحراء سيناء يوم خروج شعب الله من مصر ، حيث كان تعالى يقوتهم من المنّ السماوي، اكثر المسيح الخبزات والسمكتين ليسد جوع الجموع ، وقد اراد ان يشرك رسله في هذا العمل الخطير ، حيث اظهر ذاته قدرة الله المتجسدة وجودته غير المتناهية ، ليعلّمهم ويدرّبهم على المهمة التي ستلقى عمّا قليل على عاتقهم في تغذية النفوس يوماً . فهذه الجماهير كانت تمثّل الجموع التي ستتألف منها الكنيسة . والطعام العجائبي الفائض الذي شبعوا منه ، كان يرمز الى المسيح نفسه ، خبز الحياة الابدية ، الذي سيغتذي منه الانسان بالايمان وبالافخارستيا . (يوحنا ٦) ولكن لكي يجد المؤمنون خبز الحياة ويقتاتوا منه لا بد لهم من الالتجاء الى خلفاء الرسل الشرعيين الأساقفة والكهنة الذين تلقوا منهم السلطان لصنع هذا الخبز الحي وتوزيعه على النفوس : « فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هـــذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يأتي » (كورنتس ١/١١–٢٦) .

المرحلة السادسة : موت المسيح على الصليب وقيامته من بين الاموات

خاض المسيح معركة الموت بملء حريته واختياره، وهو القائل: « ان ابي يحبني لأني ابذل حياتي ، لكي استرجعها ايضاً .

لم ينتزعها احد مني ، وانما انا ابذلها باختياري . فلي سلطان ان ابذلها ، ولي سلطان ان استرجعها ايضاً» (يوحنا ١٠/١٧) .
وطاع حتى الموت وموت الصليب وغلب بذلك الخطيئة وابليس. واعرابه عن طاعته لأبيه في بستان الزيتون قبيل صلبه : « يا ابتاه لتكن مشيئتك لا مشيئتي» كان تكفيراً عن معصية آدم الاول وتمرده في الفردوس الارضي .

- اما قيامة المسيح من بين الاموات ، فهي قيامة الكنيسة ايضاً لحياة جديدة مع المسيح ، وهي برهان قاطع على قبول الله ذبيحة ابنه الوحيد . اجل ، كما كانت النيران تأتي من السماء في العهد القديم لتلتهم المحرقات والقرابين ، دلالة على قبول الله اياها ، كما حدث لذبيحة ابراهيم وقت قطعه العهد مع الله (تك ١٠) كذلك نور القيامة الذي اجراه الله وقت انبعاث ابنه حياً من بين الاموات، دليل على قبوله ذبيحته ، وتصديقاً لعهده الجديد الذي قطعه مع البشر ، وتأييداً لكنيسته او شعبه الجديد . فالقيامة هي منتهى تجوال المسيح على الارض ورحيله الى الابدية . فهو بكر الاحياء القائمين من بين الاموات (١ كورنتس ١/١٥) .

المرحلة السابعة والأخيرة : العنصرة (حلول الروح القدس على العذراء مريم والتلاميذ المجتمعين في علية صهيون)

يذكّرنا حلول الروح القدس في العنصرة بظهور الله على جبل سيناء . نزل الله على الجبل وسط النار والرعد والعاصفة ودفع لوحي الشريعة الى موسى ، وكان الشعب منسحقاً ومستغرقاً في الصلاة والانسحاق . ثم نهض وله رتبة جديدة ، رتبة شعب

الله . وكذلك نزل الروح القدس على الرسل وسط عاصفة هوجاء وبشكل ألسنة نارية ، فافاض عليهم ملء الحكمة والفهم والعلم ودشّن واياهم العهد الجديد ، عهد انطلاق الكنيسة الى العالم اجمع لتحمل بشارة الخلاص الى شعوب الارض قاطبةً . الى ذلك اشار القديس بطرس في خطابه الاول (اعمال ٢/١٤-١٨). مشيراً ايضاً الى نبوة حزقيال . « واعطيكم قلباً جديداً واجعل في احشائكم روحاً جديداً وانزع من لحمكم قلب الحجر وأعطيكم قلباً من لحم » (حزقيال ٣٦/٢٦) .

س — اذن كانت فكرة تأسيس الكنيسة تجول في خاطر الله منذ الازل مع سر التجسد والفداء ؟

ج — نعم ان سر الكنيسة كان يجول في ارادة الله السرمدية التي بها يريد خلاص العالم ولهذا ارسل ابنه الازلي الذي فيــه اختارنا قبل تكوين العالم على حد قول بولس الرسول (افسس ١/٣)، فبدأ بتأسيس الكنيسة وبدأ معها ملكوت السماوات وبطاعته اعطى الخلاص . وقد منح كنيسته قدرةً على النمو والاتساع ما جعلها اهلاً لأن تتناول شعوب الارض قاطبةً وقد تأصلت في جنبه على الصليب الذي خرج منه دم وماء وخرجت منه حواء جديدة لتلد البشر الى حياة النعمة . وبعد ان تأسست الكنيسة ارسل الله الروح القدس يوم العنصرة ليقدس تلك الكنيسة بصورة كاملة فصار للمؤمنين بالمسيح منذ ذاك الحين طريقاً يسمو بهم بالروح الى الآب .

س — اذن رسالة الكنيسة هي رسالة المسيح الخلاصية عينها على ارض البشر ؟

ج — نعم ان رسالة الكنيسة هي رسالة المسيح الخلاصية عينها. وهي تقوم بان تغفر للبشر خطاياهم ، وتلدهم ولادة روحية جديدة من العلاء حيث يصبحون ابناء الله بالتبني واخوةً ما بينهم. فالكنيسة ليست سوى امتداد ليسوع المسيح على ارض البشر.

س — ما هي الوسيلة للدخول في الكنيسة ؟

ج — الوسيلة للدخول في الكنيسة هي الاسرار لاسيما السر الاول ، المعمودية أو العماد ، فبالعماد يتّحد الانسان بالمسيح ويصير شبيهاً به . فالاسرار هي اساس الرباط بالمسيح . في تعدد الأعضاء رباط واحد وهو العماد ورباط آخر وهو القربان ورباط ثالث هو الروح .

س — وماذا ينشأ عن هذه الوحدة القائمة بين المسيح والمسيحيين المؤمنين به ؟

ج — تنشأ بين المسيح والمسيحيين المؤمنين به وحدة تُدعى « شركة القديسين » التي ينتشر اعضاؤها على الارض وهم الكنيسة المجاهدة ، وفي المطهر وهم الكنيسة المتألمة[1] ، وفي السماء وهم الكنيسة الظافرة . وهذه الكنائس الثلاث ليست سوى كنيسة واحدة وثّق المسيح بين اعضائها . وشركة القديسين هي تشمل حتى الخطأة فتمدهم من النعم بما يسعفهم على النهوض من عثارهم وتضم حتى غير المؤمنين فتمدّهم بالانوار العلوية ليأتوا الى المسيح ينبوع الخلاص الابدي ويقبلوا سر العماد الذي يجعل منهم اعضاءً لكنيسة المسيح .

١) المطهر هو حال فيها تتطهر نفوس الابرار وسط عذاب وقتي لتفي ما تبقى عليها من عقاب عن خطاياها المغفورة قبل ان تدخل السماء .

س — وهل تكلّم المسيح على شركة القديسين هذه ؟

ج — نعم لقد تحدث المسيح عن شركة القديسين هذه لما شبه ذاته والمؤمنين به بالكرمة والاغصان حيث قال :

« انا الكرمة وانتم الاغصان من يثبت فيَّ وانا فيه يأتي بثمر كثير لانكم بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً » (يوحنا ١٥/١-٩).
والقديس بولس تكلّم على هذه الوحدة السرية كجسد سرّي للمسيح فشبّهه بجسد الانسان حيث قال : « كما ان الجسد
« واحد وله اعضاء كثيرة ، وان جميع اعضاء الجسد ، مع
« كونها كثيرة ، هي جسد واحد ، كذلك المسيح ايضاً .
« فاننّا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد ، يهوداً
« كنا ام يونانيين ، عبيداً ام احراراً ، وسُقينا جميعاً من روح
« واحد » (اولى كورنتس ١٢/١٢) .

س — اذن غاية الكنيسة روحية فقط ؟

ج — نعم ان غاية الكنيسة لروحية بحتة فهي مملكة الله الروحية التي اعلنها المسيح في بدء كرازته لما قال :

« لقد تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل »
(مرقس ١/١٥) .

س — الا نستطيع القول ان الكنيسة هي جماعة زمنية ايضاً ؟

ج — الكنيسة جماعة حقيقية روحية اولاً لأنها تهدف الى خلاص البشر الروحي الابدي وهي زمنية ايضاً لأنها تعمل على خلاص البشر مدة حياتهم على الارض عبر الزمن ، وهي ايضاً بشرية

لأنها مؤلفة من بشريين مركبين من نفس وجسد يحملون دوماً ضعف الجسد فيهم على كل علاّته ويدأبون بالرغم من ذلك على قمع الميول المنحرفة فيهم وتحرير نفوسهم من ربقة الانسان العتيق ، انسان الخطيئة الكامن فيهم .

س — ماذا عنى المسيح بكلمة « ملكوت الله » ؟

ج — عنى المسيح بملكوت الله اولاً حال البرارة التي تمكّن البشر من التمتع بنعيم الله الابدي منذ هذه الدنيا . وهذه الحال هي حال النعمة . وعنى كذلك بملكوت الله ، الكنيسة التي هي مملكته والتي تؤهب البشر لدخول السماء باعطائهم النعمة الالهية عربون النعيم الابدي ، ذاك النعيم الذي يكمن في نفس المؤمن منذ هذه الدنيا كمون السنديانة في البلوطة والزهرة الفوّاحة في البذرة الحقيرة . فليس ملكوت الله اذن حزباً سياسياً ومؤسسة اجتماعية انما هو حالة نفسية ، حالة برارة تقوم على نبذ الانانية والاعتصام بطاعة الله وناموسه وعلى العودة الى البساطة والطفولة المسيحية مع ما فيها من صفاء نيات ونقاء سرائر . وهذا ما المع اليه السيد المسيح لما قال : « ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاطفال فلن تدخلوا ملكوت السماوات » (متى ١٨/١–١٠) . واخيراً ملكوت الله هو الكنيسة الظافرة في السماء حيث النفوس الطوباوية تعاين الله وجهاً لوجه وتحبه وتمجده الى الابد .

س — وهل ملكوت الله لفئة معيّنة من البشر دون الاخرى ؟

ج — كلاّ ! بل هو جمع شامل يضم في جسد واحد ، اي جسد المسيح السرّي ، جميع ابناء الله المشتتين (يوحنا ١١/٥٢) من

ذوي الارادة الصالحة (متى ٢١/٤٣) عـلى اختلاف النزعات والشعوب والاجناس واللغات . وقد اوضح ذلك القديس بولس الرسول بكلامه لما قال : « ليس بعد يهودي ولا يوناني ، « ليس عبد ولا حرّ ، ليس ذكر ولا انثى ، لانكم جميعاً « واحد في المسيح يسوع » (غلاطية ٣/٢٨) .

٢ ـ الكنيسة جسد المسيح السري

س ـ ماذا تفهم بقولك « ان الكنيسة جسد المسيح السرّي »

ج ـ افهم :

ا ـ ان الكنيسة مِلْك المسيح

انها لمدينة له بتأسيسها ونشأتها ، وقد ولدها عند الصليب وسط الآلام المُبرِّحة ، واحياها بقيامته من بين الاموات ، ثم ارسل لها الروح القدس لينعشها ويدبرها ويصنع فيها القديسين وفقاً لتعاليم الانجيل .

ب ـ ان الكنيسة مدينة للمسيح في ضم شملها وجمع شتاتها

ان المسيح ما فتئ يحيا في الكنيسة ، والمسيحيون لن يكونوا واحداً الاّ به وفيه . لقد رسم سر المعمودية لكي ينتشلهم من عالم الخطيئة ويجعلهم ابناء الله بالتبني .

ت ـ ان الكنيسة تؤلّف اعضاء جسد واحد رأسه يسوع المسيح

لما ظهر المسيح لشاول الطرسوسي عـلى مدخل دمشق لكي يهديه ويحوّله من مضطهد الى رسول ويجعله الاناء المصطفى

بولس رسول الامم ، قال له رداً على سؤاله « يا رب من انت ؟ » هذه الكلمات : « انا يسوع الذي تضطهد » (اعمال ٩ /٥) ثم كشف له من خلال ذلك ان المسيحيين الذين اصطبغوا بعمودية المسيح اصبحوا واحداً فيه : هم الاعضاء في الجسد والمسيح الرأس .

« هو رأس جسد الكنيسة ، هو المبدأ البكر من بين الاموات لكي يكون هو الاول في كل شيء » (كولسي ١ /١٨) .

ث ـ ان الكنيسة للمسيح كالعروس لعريسها

المسيح هو آدم الجديد للبشرية ، وقد اراد ان تكون الكنيسة بمثابة حواء جديدة تلد لـــه المسيحيين المؤمنين حتى منتهى العالم . وقرانه الروحي « الميستيكي » بكنيسته سيكون من الآن فصاعداً مثالاً اعلى للقران الزوجي المعقود ما بين الزوجين المسيحيَيْن . هذا ما علّم به ايضاً بولس الرسول في رسالته الى الافسسيين قال : « لتخضع النساء لرجالهن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة كما ان المسيح هو رأس الكنيسة مخلّص الجسد . فكما تخضع الكنيسة للمسيح فكذلك لتخضع النساء لرجالهن في كل شيء . ايها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وبذل نفسه لاجلها ليقدسها مُطهِّراً اياها بغسل الماء وكلمة الحياة ، ليهديها لنفسه كنيسةً مجيدة لا كَلَف فيها ولا غضن ولا شيء من ذلك ، بل تكون مقدّسة ، مُنزَّهة عن كل عيب . فكذلك يجب على الرجال ان يُحبوا نساءهم كاجسادهم . من أحب امرأته أحب نفسه .

فإنه لم يبغض احدٌ جسده قط بل يغذيه ويربّيه كما يعامل الرب الكنيسة . فإننّا اعضاء جسده ، من لحمه ومن عظامه » (افسس ٥/٢٣-٣٠) .

٣ – السلطة الاريرخية في الكنيسة

س – بماذا تقوم السلطة « الاريرخية » (hiérarchique) في الكنيسة ؟

ج – تقوم السلطة « الاريرخية » في الكنيسة ، كما يعلّم بذلك المجمع المسكوني المقدس الفاتيكاني الثاني على غرار المجمع الفاتيكاني الاول « بان يسوع المسيح الراعي الازلي ، قد أسَّس الكنيسة المقدسة . وكما كان الآب قد أرسله ، فانّه ارسل الرسل (راجع يوحنا ٢٠/٢١)[1] واراد ان يكون خلفاؤهم ، اي الاساقفة ، رعاة في كنيسته الى منتهى الدهر . ولكي تبقى الاسقفية ذاتها واحدة وغير منقسمة ، اقام القديس بطرس رئيساً على سائر الرسل ، وفيه وضع المبدأ والأساس الدائم والمنظور لوحدة الايمان والشركة »[2] .

س – بماذا تقوم الخدمة او المهمة الاسقفية ؟

ج – تقوم الخدمة الاسقفية على مـــا ينص عليه ايضاً المجمع المسكوني المقدس الفاتيكاني الثاني « بأن الاساقفة بوصفهم خلفاء الرسل قد تسلّموا من الرب الذي أعطى كل سلطان في السماء وعلى الارض ، رسالـــة تعليم جميع الامم والتبشير

١) « كما ارسلني الآب أرسلكم » (يوحنا ٢٠/٢١) .

٢) المجمع الفاتيكاني الثاني – الكنيسة – الفصل الثالث : عدد ١٨ – الطبعة المصرية دار العالم العربي .

بالانجيل للخليقة كلها حتى يبلغ جميع الناس الى الخلاص بواسطة الايمان والمعمودية وتتميم الوصايا (متى ١٨/٢٨ ، مرقس ١٦/ ١٥ ، اعمال ١٧/٢٦)[1] .

ويتمتع الاساقفة بموجب هذه المهمة المُسندة اليهم بسلطان ثلاثي :

ا ــ سلطان التعليم (خدمة التبشير والتعليم) .

ب ــ سلطان الكهنوت (خدمة تقديس النفوس) .

ت ــ سلطان القضاء (خدمة التدبير والرعاية : الخدمة الملوكية) .

ا ــ سلطان التعليم (خدمة التبشير والتعليم)

« ومن ابرز مهام الاساقفة التبشير بالانجيل . فالاساقفة هم المبشرون بالايمان ، الذين يأتون الى المسيح بتلاميذ جدد، وهم المعلمون الاصيلون اي المزوّدون بسلطة المسيح، الذين يبشرون الشعب الموكول اليهم بالايمان الواجب اعتناقه وتطبيقه في الآداب ، ويوضحونه على نور الروح القدس ، مخرجين من كنز الوحي ما هو جديد وما هو عتيق (متى ٥٢/١٣) ، ويعملون على ان يثمر ، ويبعدون بعين ساهرة عن رعيتهم الاضاليل التي تهددها » (٢ تيمو ١/٤-٤)[2] .

ــ وللعلمانيين[3] حقوق في هذا السلطان وموجبات في تأدية

---

١) المجمع الڤاتيكاني الثاني ــ الكنيسة ــ الفصل الثالث : عدد ٢٤ .

٢) المجمع الڤاتيكاني الثاني ــ الكنيسة الفصل الثالث . عدد ٢٥

٣) مفهوم عبارة « علماني » : جميع المؤمنين بالمسيح باستثناء اعضاء الدرجة الكهنوتية المقدسة الموجودين في الحالة الرهبانية المعترف بها في الكنيسة ، اي المؤمنين الذين بالمعمودية اندمجوا في المسيح واصبحوا شعب الله وصاروا شركاء كل حسب دعوته في وظيفة المسيح الكهنوتية والبنوية والملوكية ، ويقومون ، كل حسب نصيبه ، برسالة الشعب المسيحي كله في الكنيسة والعالم » . (المجمع الڤاتيكاني الثاني ــ العلمانيون ــ عدد ٣١)

الخدمة والمهمة المنوطة به ، إذ إنّهم اصبحوا بحكم تجددهم في المسيح في المعمودية والتثبيت اعضاء في شعب الله وجسد المسيح السري ، الكنيسة ، متساوين في الكرامة ونعمة التبني الالهي والدعوة الى الكمال كالقائمين على رأس شعب الله انفسهم. هذا ما اعلنه ايضاً المجمع المسكوني المقدس الڤاتيكاني الثاني:

« ان العلمانيين الذين جُمِعوا في شعب الله وأُقيموا في جسد المسيح الواحد تحت رأس واحد ، مدعوون ، أيّاً كانوا ، بوصفهم اعضاء احياء ، الى بذل جميع قواهم ، التي نالوها من جود الخالق ونعمة الفادي ، في سبيل نمو الكنيسة وتقدمها المضطرد في القداسة.

ورسالة العلمانيين هي اشتراك في رسالــة الكنيسة الخلاصية عينها ، وقد عُهد اليهم بهذه الرسالة من لدن الرب عينه بواسطة المعمودية والتثبيت ...

وقد دُعي العلمانيون بنوع خاص الى جعل الكنيسة حاضرة وعاملة في الاماكن والظروف التي لا يمكنها ان تكون فيها ملح الارض الاّ عن طريقهم . وهكذا فكل علماني هو ، بما مُنح من مواهب ، شاهد لرسالة الكنيسة واداة حية لها «على مقدار موهبة المسيح» (افسس ٤/٧) .

وقد يمكن دعوة العلمانيين ، علاوة على هذه الرسالة ، التي تقع على عاتق جميع المؤمنين بالمسيح بدون استثناء ، الى معاونة مباشرة للرئاسة الكنسية في رسالتها بطرق متباينة ، على مثال اولئك الرجال والنساء الذين كانوا يعاونون بولس الرسول في عمل

الانجيل ، وكانوا يتعبون كثيراً في الرب (فيلبي ٤/٣ ، رومية ١٦/٣) . فهم ايضاً يتمتعون بمواهب تؤهلهم للقيام بمهام كنسية لها غاية روحية تحت تدبير الرئاسة الكنسية »[1] .

ويتابع المجمع المقدس تعليمه :

« والمسيح النبي العظيم الذي اعلن ملكوت الآب بشهادة سيرته وقوة كلمته ، يقوم بوظيفته النبوية الى ان يتم ظهور المجد ، ليس فقط على يد الرئاسة الكنسية التي تعلم باسمه وسلطانه ، ولكن ايضاً على يد العلمانيين انفسهم الذين اقامهم شهوداً وزوّدهم بروح الايمان ونعمه الكلمة (اعمال ١٧/٢ ، رؤيا ١٠/١٩) لتسطع قوة الانجيل في حياتهم اليومية ، العائلية والاجتماعية . والعلمانيون يظهرون انفسهم انهم ابناء الوعد اذا افتدوا الوقت الحاضر بثباتهم على الايمان والرجاء (افسس ١٦/٥ ، كولسي ٥/٤) وانتظروا بالصبر المجد المقبل (رومية ٢٥/٨) .

اما هذا الرجاء فعليهم الاّ يخفوه في اعماق نفوسهم بل يظهروه بتطهيرهم المتواصل ، وبنضالهم « ضد ولاة هذا العالم ، عالم الظلمة ، وضد الارواح الشريرة » (افسس ١٢/٦) ومن خلال اوضاع الحياة الزمنية عينها . وكما ان اسرار العهد الجديد التي تتغذى بها حياة المؤمنين ورسالتهم ترمز الى السماء الجديدة ، والارض الجديدة (رؤيا ١/٢١) كذلك العلمانيون يصبحون الدعاة الاقوياء للايمان بالامور المرجوة (عبر ١/١١) إذا ربطوا بدون تردد بين الحياة بالايمان والاعتراف به . وهذه الكرازة اي

---

١) المجمع الفاتيكاني الثاني – الكنيسة – فصل ٤ العلمانيون . عدد : ٣٣

التبشير بالمسيح بواسطة الكلمة وبشهادة السيرة تكتسب ميزة فريدة وفاعلية خاصة لأنها تتم في ظروف الحيـــاة الزمنية العادية »[1] .

ب ــ **سلطان الكهنوت** (خدمة تقديس النفوس)

هو السلطان المختص بتقديس النفوس . تقوم مهمته على منح الأسرار للمؤمنين ، وفيه يظهر بالأكثر الرباط الذي يشد المسيح الى خَدَمة اسراره الاساقفة والكهنة معاونيهم الذين يكونون ساعتئذٍ في عروة وثقى معه . اجل ، مهما تكن جدارتهم او عدم اهليتهم وقت منح الأسرار ــ والله لا ينظر الى ذلك ــ فنعمة الفداء اصبحت من الآن فصاعداً مرتهنة بهم ، تمر عن ايديهم الى النفوس . هكذا لما ظهر يسوع المسيح الى شاول على طريق دمشق ليهديه ويحوّله من مضطهد الى رسول ويجعله بولس رسول الامم ، امره بان يذهب الى حننيا ويتقدم منه ويلتمس منه المعمودية (اعمال ٩) .

والمجمع المسكوني المقدس الڤاتيكاني الثاني يعلّم بهذا الصدد : « ان الاسقف وقد نال ملء درجة الكهنوت ، لهو « مدبّر نعمة الكهنوت السامي » لا سيما في سر القربان الذي يقدمه بنفسه او يُعنى بتقديمه والذي به تحيا الكنيسة وتنمو عـــلى الدوام . وكنيسة المسيح هذه موجودة حقاً في جماعات المؤمنين المحلية القائمة شرعاً ما دامت هذه الجماعات موالية لرعاتها وهي في العهد الجديد تدعى كنائس (اعمال ٨/١ ؛ ١٤/٢٢-٢٣ ؛ ٢٠/١٧)

---

١) المجمع الڤاتيكاني الثاني ــ الكنيسة ــ فصل ٤ العلمانيون . عدد : ٣٥

وهي اينما وُجدت تعتبر الشعب الجديـــد الذي دعاه الله بالروح القدس وكمال اليقين (١ تسالونيكي ١ /٥) ، فيها يجتمع المؤمنون لسماع الكرازة بانجيل المسيح ، وفيها يحتفل بسر عشاء الرب « حتى تتوثق في الجسد الواحد الإخوّة الشاملة بواسطة جسد الرب ودمه » . ففي شركة المذبح اياً كانت ، تحت اشراف خدمة الاسقف المقدسة يتمثل سر المحبة « ووحدة الجسد السري التي لا خلاص بدونها »[1]. وفي هذه الجماعات وان كانت غالباً محدودة فقيرة او مشتتة ، يحضر المسيح الذي بقوته تجتمع الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية. فالشركة في جسد المسيح ودمه ليس لها من فعل سوى ان تحوّلنا الى ما نتناوله »[2] .

وللعلمانيين ايضاً قسط في مهمة تقديس النفوس يجب تأديته، اذ انهم يؤلفون جزءاً من شعب الله ولهم شركة « في الكهنوت الملوكي والأمة المقدسة والشعب المقتنى » (١ بطرس ٢/٩) على حد قول القديس بطرس . هذا ما يعلم به ايضاً المجمع المسكوني المقدس الفاتيكاني الثاني :

« ولما كان المسيح يسوع ، الكاهن الازلي الاعلى يريد ان يواصل شهادته وخدمته على يد العلمانيين ايضاً ، فانه يُحييهم بروحه ويدفعهم دون انقطاع الى كل عمل صالح وكامل . وهؤلاء الذين ضمّهم ضماً حميماً الى حياته ورسالته ، قد اسند اليهم جزءاً من وظيفته الكهنوتية ، ليمارسوا العبادة الروحية

---

١) القديس توما الاكويني: المجموعة اللاهوتية. الجزء الثالث السؤال ٧٣. الجواب عن ٣
٢) المجمع الفاتيكاني الثاني – الكنيسة – فصل ٣ – عدد : ٢٦

في سبيل مجد الله وخلاص النفوس . ولهذا فالعلمانيون الذين تكرّسوا للمسيح ومُسحوا بالروح القدس قد دُعوا وزُوّدوا بصورة عجيبة ، لتنمو وتتوافر فيهم ثمار الروح على الدوام . فأعمالهم جميعها ، الصلوات والمشاريع الرسولية ، والحياة الزوجية والعائلية ، والعمل اليومي ، والراحة الروحية والجسدية ، فهذه كلها ان أتموها بالروح ، ومتاعب الحياة عينها ان احتملوها بالصبر ، صارت قرابين روحية ، « مرضية لله بيسوع المسيح» (١ بطرس ٢/٥) . ويمكن ان تُقدَّم للآب بكل تقوى في تقدمة الذبيحة المقدسة مـع تقدمة جسد الرب . وعلى هذا النحو فالعلمانيون اذ يعبدون ويعملون بقداسة في كل مكان يكرّسون العالم ذاته لله »[1] .

ت ـ سلطان القضاء (خدمة التدبير والرعاية : الخدمة الملوكية)

هو سلطان تدبير الكنيسة وسياستها ورعايتها بغية تسهيل عمل الخلاص على المؤمنين : ويقول ايضاً المجمع المسكوني المقدس الڤاتيكاني الثاني في هذا الصدد :

« ان الاساقفة يديرون الكنائس الخاصة الموكولة اليهم كنواب المسيح وسفرائه بارشاداتهم وتشجيعهم وامثالهم وكذا بسلطتهم وممارسة سلطانهم المقدس الذي لن يستعملوه الاّ لبنيان قطيعهم في الحق والقداسة ذاكرين ان عـلى الاكبر ان يُصبح كالأصغر وان على المتقدم ان يصبح كالخادم (لوقا ٢٢/٢٦-٢٧) وهذا السلطان الذي يمارسونه شخصياً باسم المسيح هو سلطان

---

١) المجمع الڤاتيكاني الثاني ـ الكنيسة ـ فصل ٤ العلمانيون ـ عدد : ٣٤

خاص بهم ، وطبيعي ومباشر... وللاساقفة بمقتضى هذا السلطان حق مقدّس وعليهم واجب امام الرب ، بان يسنّوا القوانين لمرؤوسيهم وان يصدروا الاحكام وان يدبروا كل ما يتعلق بسير العبادة والرسالة .. واليهم أُسندت وظيفة الرعاية الكاملة اي السهر المألوف واليومي على خرافهم ، ولا يجوز ان يُعتَبروا نوّاباً للأحبار الرومانيين لأنهم يمارسون سلطاناً خاصاً بهم ويُدعون بكل حق رؤساء للشعوب التي يدبرونهـــا . ولذلك فالسلطة العليا الشاملة لا تضعف سلطانهم بل تثبته وتقويه وتحميه ، لأن الروح القدس هو الذي يحفظ على الدوام نظام الحكم الذي رسمه المسيح الرب في كنيسته »[1] .

ويسهم العلمانيون في تدبير الكنيسة ، في هذه الخدمة الملوكية — حيث خدام الملك ملوك — مساهمة فعّالة ، صادقة ، لا غبار عليها ، تعود على شعب الله بالنفع الجزيل والخير العميم. هذا ما علّم به ايضاً المجمع المسكوني المقدس الڤاتيكاني الثاني قال :

« ان المسيح اطاع حتى الموت فلذلك رفعه الآب (فيلبي ٢/٨–٩) وقد دخل في مجد ملكوته . كل شيء قد أُخضع له ، الى ان يخضع ذاته ويخضع كل شيء للآب ، ليكون الله كلاً في الكل (١ كورنتس ١٥/٢٧–٢٨) وقد منح تلاميذه هذا السلطان ليتمتعوا هم ايضاً بالحرية الملوكية ويكسروا ، بنكران ذاتهم وقداسة سيرتهم ، شوكة الخطيئة (رومية ٦/١٢) . وهم اذ يخدمون

---

١) المجمع الڤاتيكاني الثاني — الكنيسة — فصل ٣ عدد : ٢٧

المسيح في قريبهم يقودون بتواضعهم وصبرهم اخوتهم الى ذلك الملك الذي من دان له ملك . ان الرب يريـــد ان يوسّع ملكوته ، اي ملكوت الحق والحياة ، ملكوت القداسة والنعمة ، ملكوت العدل والمحبة والسلام على يد المؤمنين العلمانيين ايضاً. وفي هذا الملكوت ستُعتَق الخليقة من عبوديـــة الفساد الى حرية مجد ابناء الله (رومية ٨/٢١) . وانه لعظيم الوعد وعظيمة الوصية التي أُعطيت للتلاميذ : « كل شيء هو لكم وانتم للمسيح اما اللسيح فلله » (١ كورنتس ٣/٢٣) .

فعلى المؤمنين اذن ان يعرفوا الطبيعة العميقة لكل خليقة وقيمتها وتوجهها الى تسبيح الله ، وعليهم ان يعاونوا بعضهم بعضاً حتى في الاعمال الزمنيـــة في سبيل التقدم في قداسة السيرة لكي يتشبّع العالم هكذا بروح المسيح ويحقق غايته بطريقة اوفى في العدل والمحبة والسلام. وللعلمانيين المقام الاول في إتمام هذه المهمة في كل مكان . فليوجهوا اذن عملهم بطريقة مجدية بما لهم من كفاءاة في العلوم الدنيوية ومن نشاط لرفعه داخلياً بنعمة المسيح ، لتنمية كل هذه الخيرات المخلوقة ، وفقاً لترتيب الخالق وعلى نور كلمته ، لفائدة جميع الناس بدون استثناء، وذلك بفضل العمل البشري والحذق الفني والاعمال المتحضرة، ولتوزيع هذه الخيرات توزيعاً مناسباً فيما بينهم ، وهكذا حسب طبيعتها تقود في تقدم شامل في الحرية الانسانية والمسيحية . وعلى هـــذا المنوال سوف ينير المسيح اكثر فاكثر بنوره الخلاصي ، على يد اعضاء الكنيسة المجتمع البشري بأسره »[1] .

---

١) المجمع الفاتيكاني الثاني – الكنيسة فصل ٤ : العلمانيون – عدد ٣٦

س — ان كانت الغاية من تأسيس الكنيسة روحية بحتة ، خلاص البشر ، فلماذا اوجد المسيح السلطة في الكنيسة ؟

ج — لما كان المسيح قد اسَّس الكنيسة لتكون جماعة حقيقية كان لا بد له من اقامة سلطة تتولى ادارتهـــا اذ ان وجود كل جماعة يفترض رؤساء ومرؤوسين . وقد تكون ضرورة الرئاسة في الجماعة بمقدار كثرة عدد المرؤوسين واختلاف اجناسهم واعراقهم وعاداتهم وتضارب افكارهم وآرائهم ونزعاتهم وبمقدار صعوبة الغاية التي تهدف اليها تلك الجماعة التي تضمهم ، ولهذا اقام السيد المسيح سلطة روحية في الكنيسة لتقوم مقامه وتجعل الوحدة في الافكار والآراء والاعمال ما بين المؤمنين وتفرض عليهم الوسائل الواجب اتخاذها للوصول الى الخلاص .

يخال للناظر الى تعداد الطوائف والكنائس في المسيحية، لاول وهلة، ان مفهوم الكنيسة الذي نحن بصدده قد تبدّل وتشوّه عند الكثيرين . لكن الواقع عكس ذلك . فالمسيحيون المنتشرون في العالم ، الذين يبلغ عددهم مليار ومئة مليون نسمة ، (اي اكثر من ثلث المسكونة) ، جميعهم متفقون ، رغم تباين نزعاتهم ، على مفهوم الكنيسة من حيث الجوهر . اي ان الكنيسة هي « شعب الله المؤلف من جميع الذين نالوا الولادة الروحية من العلاء » بواسطة المعمودية التي ترمز الى موت المسيح وقيامته من بين الاموات ، ويؤمنون بسر الثالوث الاقدس وبتجسد ابن الله ، الكلمة ، وموته على الصليب لاجل افتداء البشر ومصالحتهم مع الله ، وبقيامته من بين الاموات ، ليكون بكر الخليقة المتجددة ، ويجمع فيه جميع البشر المؤمنين ليؤلف

واياهم أُسرة كبيرة واحدة وجسداً سرياً واحداً » .

واما اختلاف المسيحيين فيما بينهم فعلى شكل النظام والادارة في الكنيسة اكثر منه على جوهرها . اما رأيناهم في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الاخير ، المنعقد في روما سنة ١٩٦٢—١٩٦٥ ، يجتمعون في كنيسة القديس بطرس ، على مختلف طوائفهم ونزعاتهم ومراتبهم ، يتبادلون الافكار والآراء ووجهات النظر بصراحة تامة ؟ الى ان جاءت تعاليم المجمع ومقرراته تعكس افكار ووجهات نظر الجميع في الكثير منها ، مما ادى الى حركة مسكونية شاملة في العالم اجمع ؛ تدعو الى التفاؤل ، وتؤذن بوحدة وشيكة لكلمة المسيحيين في كنيسة المسيح الواحدة ، حيث يضعون روح الاخاء والتسامح والمحبة مع جميع مقوّماتهم وامكاناتهم العقلية والروحية والمادية في خدمة اخوانهم البشر وبنوع اخصّ المتخلّفين والسائرين في طور النمو منهم ؛ فيجلسون واياهم على مائدة واحدة ، يتقاسمون خبزاً واحداً خبز المحبة ، ويتكالمون ويتفاهمون بلغة واحدة ، لغة المحبة ، ويعملون جاهدين الى جمع الامم في أُسرة واحدة كبرى ، أُسرة المحبة ، في ظل إله واحد ، إله المحبة ، « لان الله محبة » (١ يو ١/٤—١٥) .

س — ولماذا اوجد المسيح هذه الانواع الثلاثة من السلطات ؟

ج — لما كان المسيح قد اناط امر الانضمام الى جسده السرّي ، الكنيسة ، بعلامة حسية وجب على المؤمن ان يقبلها وهي الاسرار ، المعمودية ، التوبة ، القربان الخ ... كان لا بُدَّ

من اقامة كهنة يُسنَد اليهم امر توزيع هذه الاسرار فيقبلون المؤمنين في حضن الكنيسة ، وهكذا زوَّد الكنيسة بسلطان الكهنوت .

ولما كان لا بُدَّ من انظمة وقوانين ترعى علاقات اعضاء هذا الجسد السرّي بالله وببعضهم البعض ، كان لا بُدَّ من سلطة قضائية تسن الانظمة وتسهر على تطبيق القوانين ؛ وهكذا زوّد المسيح الكنيسة بسلطة قضائية . ولما كان التبشير واسطة لنشر الايمان ، لأن « الايمان بالسماع » يقول بولس الرسول ، وكان تفسير العقائد والسهر على سلامتها واجباً لا محيد عنه لصونها مما يتسرب اليها من ضلال ، كان لا بُدَّ من سلطة تعليمية تشرح وتفسّر هذه العقائد : وهكذا زوَّد المسيح الكنيسة بسلطة التعليم .

س — وهل مارس المسيح نفسه هذه الانواع الثلاثة من السلطان ؟

ج — نعم لقد مارس المسيح هذه الانواع الثلاثة من السلطان الذي تقبّله من الله الآب ومنحه لرسله وخلفائهم من بعدهم . فكان كاهناً يقدس النفوس وراعياً يدبرها بحكمة ودراية ونبياً يهديها الى سبل الحياة .

س — فالاساقفة والكهنة اذاً يتخذون سلطانهم الروحي من المسيح نفسه مباشرةً ؟

ج — نعم ان الاساقفة والكهنة في الكنيسة يتخذون سلطانهم الروحي من المسيح مباشرةً وليس من جماعة الشعب ولا من السلطات الحكومية . هو المسيح نفسه يدعوهم لتلك الخدمة الروحية المقدسة كما دعا اسلافهم الرسل من قبلهم لما قال لهم: «ليس

انتم اخترتموني بل انـــا اخترتكم واقمتكم لتنطلقوا وتأتوا باثمار وتدوم اثماركم » (يوحنا ١٥/١٦) . وهذا ما يميّز رجال الدين في المسيحية عن سواهم في سائر الاديان بحيث ان الكاهن يُدعى دعوة خاصة من قِبَل المسيح كي يتطوع لمساعدته في خلاص البشر ويتسلم منه سلطان الكهنوت بواسطة الاساقفة خلفاء الرسل ، كي يغفر للبشر خطاياهم على غراره ومثاله .

س — وهل اقام المسيح رئيساً اعلى لكنيسته ؟

ج — نعم لقد اقام المسيح رئيساً اعلى لكنيسته يسوسها ويدبرها باسمه الا وهو سمعان بطرس . ويتضح ذلك من اجراءات وتصريحات عديدة منها كلامه له في قيصرية فيلبس : « انت الصخرة « وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى « عليها وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما ربطته « على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكل ما حللته على « الارض يكون محلولاً في السماوات » (متى ١٦/١٨) .

وقد اراده ليس فقط الحجر الاساسي في بناء الكنيسة بل الصخرة عينها التي تمنح البنيان الوحدة والصمود والبقاء . ثم قلّده سلطان الحل والربط « مفاتيح ملكوت السماوات » ومن المعلوم ان المفاتيح ترمز الى السلطة على البيت . واخيراً بعد قيامته من الاموات لما قال له ثلاثاً « إرعَ خرافي ، إرعَ خرافي ، إرعَ نعاجي » (يوحنا ٢١/١٥—١٨) .

س — ومن خلف القديس بطرس في ادارة الكنيسة ؟

ج — لما كان القديس بطرس قد بشّر بالانجيل في روما حاضرة

الامبراطورية الرومانية في ذاك الزمن واسس الكنيسة فيها واستُشهِدَ هناك ، كان من البديهي ان يخلفه اسقف روما ، البابا . وقد يشهد التاريخ على ان اساقفة روما الباباوات قد مارسوا حقهم في تدبير شؤون الكنيسة باسرها .

س — وهل كان من الضروري ان يخلف البابا القديس بطرس على رأس الكنيسة؟

ج — نعم كان من الضروري ان يخلف البابا القديس بطرس على رأس الكنيسة لأن الكنيسة منظمة تهدف الى توحيد البشر حول شخص المسيح تحقيقاً لعمل خلاص نفوسهم ، فهي تحتاج بعد صعود المسيح الى السماء الى رئيس اعلى منظور يربط اعضاءها بعضهم ببعض ويسيّرهم بسلطانه نحو الهدف المنشود. والبابا هو هذا الرئيس المنظور الذي يقوم مقام المسيح ويوحّد ما بين جميع المؤمنين المنتشرين في العالم قاطبةً وهو صورة حية متجسدة لوحدة الكنيسة ، القطب الذي تدور حوله القلوب تستجديه دفء الايمان وتتجه اليه العقول لتستنير بنور تعاليمه.

س — كيف يتم تولي البابا رئاسة الكنيسة ؟

ج — يتم تولي البابا رئاسة الكنيسة عن طريق الانتخاب. فبعد وفاة البابا يلتئم مجمع الكرادلة وينتخبون واحداً منهم بثلثي الاصوات.

س — ما معنى البابا : معصوم من الغلط ؟

ج — معناه ان البابا عندما يشرح تعليماً ما من الوحي الالهي كمعلّم وراعٍ اعلى للكنيسة جمعاء ويحدده كعقيدة ايمانية يمده الله وقتئذٍ بنوره الخاص ويعصمه من الضلال كي لا يضل النفوس

بتعاليم كاذبة . ومن المعلوم ان البابـــا يستمد عصمته من الكنيسة التي يرئسها وبالنسبة الى الكنيسة ولاجل الكنيسة . وعصمته من الغلط لا تجعله معصوماً من الخطأ فهو يبقى ضعيفاً كباقي الناس مُعرَّضاً للسقوط في الخطيئة مثلهم ، عليه ان يتحفظ ويحتاط بالصوم والصلاة والسهر على نفسه لئلا يقترف الإثم .

س – اذاً الجماعة الاسقفية وعلى رأسها اسقف روما ، البابا ، ليست سوى امتداد للجماعة الرسولية ؟

ج – نعم ان الجماعة الاسقفية وعلى رأسها اسقف روما ، الحبر الاعظم ، ليست سوى امتداد للجماعة الرسولية ، اذ ان المسيح ما انفك يزاول بواسطة الجماعة الاسقفية سلطانه المثلث ، نبياً وكاهناً وراعياً . هذا ما يعلّم به ايضاً المجمع المسكوني المقدس الفاتيكاني الثاني ، اسوةً بالمجامع المسكونية العديدة التي تقدمته في هذا المضمار :

« وكما ان القديس بطرس وسائر الرسل يؤلفون بتدبير من الرب جماعة رسولية واحدة ، كذلك وعلى هذا النحو ، الحبر الروماني خليفة بطرس والاساقفة خلفاء الرسل يرتبطون بعضهم ببعض . ان النظام القديم الذي كان بموجبه الاساقفة القائمون في العالم كله على صلة فيما بينهم ومع اسقف روما مرتبطين برباط الوحدة والمحبة والسلام[1] وكذلك المجامع[2] التي كانت

---

1) اوسابيوس : تاريخ الكنيسة – الجزء الخامس – مجموعة المؤلفين المسيحيين اليونانيين ، جزء ٢ ص ٤٨٨ – مجمع نيقية – القانون الخامس .

2) ترتوليانوس . عن الصوم ١٣ آباء الكنيسة اللاتينية ٢ ، ٩٧٢ ب

تلتئم للبت جماعياً في الامور الهامة جداً[1] واصدار الاحكام المتزنة بعد مشاورة الكثيرين[2] ، كل ذلك يدل على الصفة والطبيعة الجماعية في الدرجة الاسقفية . وهذا ما ثبتته بوضوح المجامع المسكونية التي عُقدت على مر العصور »[3] .

٤ ــ وحدة الكنيسة

س ــ هل أسّس المسيح كنائس عديدة ؟

ج ــ كلاّ ! لم يؤسّس المسيح الاّ كنيسة واحدة . لذلك لا يوجد الاّ كنيسة واحدة هي بالحقيقة كنيسة المسيح .

س ــ ما هي علامات الكنيسة الحقيقية ؟

ج ــ العلامات التي تُعرَف بها كنيسة المسيح هي اربع : واحدة ، جامعة ، مقدسة ، رسولية .

س ــ ما معنى الكنيسة واحدة ؟

ج ــ معنى الكنيسة واحدة اي ان لها وحدة في الايمان والتعليم ووحدة في التدبير ، تخضع لرئيس واحد منظور وهو الحبر الروماني الاعظم ، ووحدة في العبادة كما ارادها السيد المسيح لما طلب الى الله ابيه في صلاته الكهنوتية الاخيرة تلك الوحدة لاجل كنيسته حيث قال : « ولست لاجلهم (اي لاجل « التلاميذ) فقط اصلّي بل لاجل الذين يؤمنون بي عن

---

١) القديس قبريانوس . الرسالة ٣٠٥٦ . هارتل الجزء الثالث ب. ص ٦٥٠
٢) راجع العلاقة الرسمية زينللي في المجمع الفاتيكاني الاول : مانسي ٥٢ ، ١٠٩ ، ٥.
٣) المجمع الفاتيكاني الثاني ــ الكنيسة ــ فصل ــ عدد : ٢٢

« كلامهم ايضاً ، لكي يكونوا باجمعهم واحداً فكما انك انت
« ايها الآب فيَّ وانا فيك ، فليكونوا هم ايضاً فينا حتى يؤمن
« العالم انك ارسلتني لقد اعطيتهم المجد الذي اعطيتني لكي
« يكونوا واحداً كما نحن واحد » (يوحنا ١٧/٢٠) .

س – لماذا تُدعى الكنيسة مقدسة ؟

ج – تُدعى الكنيسة مقدسة لأن رأسها ومؤسسها ربنا يسوع المسيح هو قدوس ولأن تعاليمها واسرارهـــا هي مقدسة وهي منبت القداسة وقد جعلت بعض الناس من ابنائها في الواقع قديسين على اختلاف المقـــام والجنس والسن والعصر . واسماء افرام السرياني وباسيليوس ويوحنا فم الذهب واغسطينوس وبندكتوس وفرنسيس الاسيزي واغناطيوس دي لويُّلا وترازيا الآبليّة وخوري ارس ويوحنا بوسكو وترازيا الطفل يسوع وشربل مخلوف اللبناني وغيرهم كثير ، ما تزال تتألق في سماء الكنيسة على ابهى ما تكون القداسة .

س – لماذا تُدعى الكنيسة جامعة ؟

ج – تُدعى الكنيسة جامعة او كاثوليكية لانها تهدف الى جمع البشر حول المسيح لتدخلهم في جسده السرّي ولانها قادرة على توفير سبل الخلاص لجميع البشر ايًّا كانت اجناسهم والوانهم ونزعاتهم ، بما تقدم لهم من غذاء روحي لا يتنافى وتراثهم الحضاري قديماً كان او حديثاً . وقد رأيناها تغذو روما واليونان بخبز الروح والحياة كما نراها تغذو اليوم اميركا وآسيا وافريقيا واوقيانيا .

س — لماذا تُدعى الكنيسة رسولية ؟

ج — تُدعى الكنيسة رسولية لانها تتصل ببطرس وسائر الرسل مؤسسيها ولا تزال يدبرها ويرعاها خلفاء الرسل ، تؤمن ايمانهم وتعلّم تعاليمهم .

س — قلت ان المسيح يمنح ولادة روحية جديدة للنفوس بواسطة الكنيسة ، فهل تكون اذن الكنيسة أماً ووالدة ؟

ج — نعم ان الكنيسة أمٌ روحيــــة حقيقية للبشر وقد شبهها آباء الكنيسة منذ القدم بحواء الجديدة لانها تلد البشر لحياة النعمة وتجعلهم ابناءً لله بالتبنّي واخوةً للمسيح .

س — وكيف تلد الكنيسة البشر لحياة النعمة ؟

ج — تلد الكنيسة البشر لحياة النعمة وتغذيهم بواسطة الاسرار الالهية التي سلّمها اياها المسيح .

الدرس العاشر

النعمة والأسرار

س — ما هي النعمة المقدسة ؟

ج — النعمة المقدسة هي حياة الله في نفوسنا . تستقر فينا بواسطة سر المعمودية بعد ان تمحو الخطيئة الاصلية ، تجعلنا ابناء الله بالتبنّي ، اخوة السيد المسيح وشركاءه في الطبيعة الالهية، وتؤهلنا لنكون ورثته يوماً في السماء . وهي ضرورية للخلاص بمقدار انه يستحيل علينا ان نرضي الله بدون وجودها فينا . انها قابلة النمو ، تزداد فينا كلّما تلونا صلاة حارّة الى الله او اتينا بعمل صالح ، وتزول منا اذا ما اقترفنا خطيئة مميتة واحدة . ولكننا نسترجعها بواسطة سر التوبة .

س — هل تكلّم السيد المسيح على النعمة ؟

ج — نعم لقد تكلّم السيد المسيح على النعمة لما شبّه نفسه بالكرمة وشبّه المؤمنين به بالاغصان . قال : « انا الكرمة الحقيقية وابي « الحارث. كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه وكل ما يأتي بثمر « ينقّيه ليأتي بثمر اكثر ... اثبتوا فيَّ وانا فيكم . كما ان الغصن

« لا يستطيع ان يأتي بثمر من عنده ان لم يثبت في الكرمة
« كذلك انتم ايضاً ان لم تثبتوا فيَّ . انا الكرمة وانتم الاغصان
« من يثبت فيَّ وانا فيه فهو يأتي بثمر كثير لأنكم بدوني
« لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً . ان كان احد لا يثبت فيَّ
« يُطرَح خارجاً كالغصن فيجفُّ فيجمعونه ويطرحونه في
« النار فيحترق . ان انتم ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم تسألون
« ما شئتم فيكون لكم . بهـذا يتمجد ابي ان تأتوا بثمر
« وتكونوا لي تلاميذ » (يوحنا ١٥/١-٩) .

س — ما هي انواع النعمة ؟

ج — النعمة على نوعين : النعمة المُبرِّرة او المُقدِّسة والنعمة الفعلية او الحالية . فالاولى تجعلنا ابناء الله وتستقر وتثبت فينا ؛ اما الثانية فهي مساعدة مؤقتة يمنحناها الله في ظروف مختلفة فيها ينير عقولنا ويحرّك ارادتنا لنجتنب الخطيئة ونصنع الخير .

س — ما هي الاسرار ؟

ج — الاسرار هي إشارات حسية او اعمال تُرى ، لها معنى وفعل لا يُرى ، وضعها السيد المسيح لاجل تقديس نفوسنا .

س — لماذا تقول إشارات حسّية ؟

ج — لانها تقع تحت الحواس كالنظر والسمع واللمس ، وترمز الى حقيقة باطنية راهنة يستدل العقل الى معرفتها . هكذا الدخان مثلاً يدل على وجود النار والعَلَم يرمز الى الدولة التي يمثلها ، والمصافحة تدل على الصداقة واحناء الرأس يدل على الاحترام

والدموع تدل على شدة الانفعـــال وهلمّ جرّا . فالإشارات المحسوسة التي نراها في الاسرار تبيـّن لنا ان نعمة الله الداخلية تحل في النفس وتستقر فيها . هكذا الماء في المعمودية يرمز الى النظافة والتطهير من الاوساخ وهو يبيـّن لنا ان المسيح يغسل نفس الانسان المعمـَّد من خطيئته ويحل فيه بنعمته .

س — فهل استخدم المسيح مثل تلك العلامات او الإشارات الحسية ؟

ج — نعم لقد استخدم المسيح مثل تلك العلامات او الإشارات الحسّية . وقد وزّع نعم ابيه السماوي وبركاته على البشر بكلمة او بإشارة في حين انه كان بمستطاعه أن يوزّعها بفكرة فقط . فالانجيل يذكر لنا انه لمس الابرص فطهر من برصه (متى ٨ ولوقا ٥) ، وضع يده على المرضى فمنحهم العافية (متى ٨ ولوقا ٦) ، اعلن للمخلّع بكلمة ان خطاياه قد غـُفـِرت (متى ٩ ومرقس ٢) ، نفخ في التلاميذ فوهبهم السلطان لمغفرة الخطايا (يوحنا ٢٠) ، وامام اعمى منذ ولادته تفل في الارض وصنع من تفلته طيناً وطلى به عيني الاعمى ثم امره بان يذهب ويغتسل ببركـــة سلوام لكي يحصل على البصر (يوحنا ٩) ، والى اخرس ابكم نراه يضع قليلاً من ريقه في اذنيه ويقول له : إتفتـَح ! اي إنفتح ، فيعيد له سمعه ونطقه على الفور (مرقس ٧) . وهكذا كان يضع البشر بالاتصال مع الله ابيـــه بواسطة تلك الإشارات والعلامات الحسّية .

س — ألم يكن المسيح نفسه علامة حسيّة لوجود الله بين البشر ؟

ج — نعم لقد كان المسيح نفسه علامة حسّية لوجود الله بـــين

البشر . وقد دُعي بحق سرّ الله الكبير لأنه كان يدل على وجود الله بين البشر وكان يمنح الله للبشر وهو القائل : «من رآني فقد رأى الآب » (يوحنا ٩/١٤) . وقد دُعيَتْ الكنيسة ايضاً من بعده سرّ المسيح ، اي العلامة او الإشارة الحسّية التي تدل على وجوده والتي تمنحه للبشر ، ذلك لأن المسيح قلّدها ذاك السلطان لما قال لتلاميذه : « اذهبوا وتلمذوا الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ١٩/٢٨) .

س ـ ما هي صلة الاسرار بالفداء ؟

ج ـ الاسرار هي بمثابة قنوات تأتينا بواسطتها نعم الفداء التي استحقها لنا المسيح بموته على الصليب .

س ـ من يمنح الاسرار ؟

ج ـ هو المسيح ما زال يمنح نعم الفداء بالاسرار ولكن بواسطة الكاهن .

س ـ ما هو عدد الاسرار ؟

ج ـ عدد الاسرار سبعة : المعمودية ، التثبيت ، القربان المقدس، التوبة ، مسحة المرضى ، الكهنوت ، الزواج .

س ـ لماذا حدد المسيح هذا العدد السبعة ؟

ج ـ حدَّد المسيح هـذا العدد السبعة لأن حياة الانسان الروحية كحياته الجسدية تتطلب هذا العدد لا اكثر ولا اقل . اجل، سبعة اشياء ضرورية لحياة الجسد : الولادة ، النمو ، الغذاء ، مكافحة المرض والشفاء منه ، حسن التدبير من قِبَل السلطة،

الزواج لتناسل البشر ، والتعزية والمساعدة عند الموت . وسبعة اشياء ضرورية ايضاً لحياة النفس : الولادة الروحية (المعمودية) النمو (التثبيت) الغذاء (الافخارستيا او القربان المقدس) التنقية والشفاء من الخطيئة (التوبة) القوة والامانة لاحتمال الحياة الزوجية (الزواج) الالتجاء الى وسيط يُدني النفس من الله ويمنحها نعم الفداء (الكهنوت) تعزية النفس وانعاشها في المرض وتأهيبها للمثول امام الله عند الموت (مسحة المرضى) .

سرّ المعمودية

س — ما هو سر المعمودية ؟

ج — سر المعمودية هو سر يمحو الخطيئة الاصلية في الانسان ويمنحه الولادة الروحية الثانية الجديدة من العلاء التي تكلم عليها السيد المسيح في حديثه مع نيقودموس احد علماء الناموس في اسرائيل . بقوله : « ان لم يولد احد ثانيةً فلا يقدر ان يعاين ملكوت الله . . . ان لم يُولَد احد من الماء والروح فلا يقدر ان يدخل ملكوت الله » (يوحنا ٣) .

س — وما هي قدرة الولادة الروحية الجديدة من العلاء ؟

ج — ان الولادة الروحية الجديدة من العلاء :

١ — تُجدِّد الانسان ثانيةً فتنقله من الموت الى الحياة بحيث يفيض الله عليه نعمته الالهية فيغيّره ويحييه ويلقي فيه بذور الفضائل الالهية الثلاث ، الايمان والرجاء والمحبة التي تساعده على النمو المتواصل في الحياة الالهية كلما اتى بعمل ثوابي .

٢ ــ تحرره من مخالب ابليس ومن نير الخطيئة . واذا كان راشداً فالمعمودية تمحو له جميع الخطايا التي اقترفها مدة حياته قبل اعتماده .

٣ ــ تدخله في حظيرة الكنيسة فيصبح ابناً لله بالتبنّي واخاً للسيد المسيح وعضواً عاملاً في جسده السرّي ، قابــلاً ان يستفيد من استحقاقات شركة القديسين .

س ــ كيف يجري سر المعمودية ؟

ج ــ يجري سر المعمودية على الشكل الآتي : يأخذ الكاهن الماء بيده ويصبه على رأس الشخص المُعمَّد قائلاً : « انا اعمّدك يا فلان باسم + الآب + والابن + والروح القدس » ، عملاً بكلام السيد المسيح القائل الى تلاميذه حين قلّدهم سلطانه الالهي واطلقهم يكرزون بالانجيل للخليقة كلها : « اني قد أعطيتُ كل سلطان في السماء والارض اذهبوا وتلمذوا كل الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ١٨/٢٨) .

س ــ ما هي رموز الماء في الكتاب المقدس ؟

ج ــ اليك رموز الماء في الكتاب المقدس :

١ ــ الماء يُحيي بحيث يمنح الخصب للارض ويفجّر الينابيع وسط الصحراء فيروي كل ما كان جافاً .

٢ ــ والماء يبيد ويُميت ايضاً كما يحدث ذلك في الطوفان. فالماء مرغوب عندما يمنح الحياة ومخوف عندما يبيد ويُميت.

ــ ففي العهد القديم خلق الله كل حياة كما جاء في نصوص

التوراة ، ابتداءً من الماء . وارسل الطوفان عن ايام نوح ليبيد البشرية الاثيمة بسبب كثرة آثامها ومعاصيها ولم ينجُ من الطوفان سوى نوح البار وعائلته .

وتطهّر نعمان السرياني من برصه باغتساله في مياه الاردن على طلب وضراعة اليشع النبي (٤ ملوك ٥) .

وفي العهد الجديد تعمد السيد المسيح نفسه من يوحنا المعمدان في الاردن حاملاً البشرية الاثيمة في شخصه لكي يطهرها من آثامها بمعمودية التوبة والتكفير ، وهناك حلّ عليه الروح القدس بشكل حمامة ليصنع بواسطته خلقة جديدة ويدخل معها في عهد جديد « العهد المسيحاني » الذي تكلّم عليه الانبياء . فكان الماء في كل من هذه المشاهد اداة لإبادة الخطيئة ومنح النعمة الالهية . وقد شبّه السيد المسيح ايضاً موته وقيامته بمعمودية لما قال : « ولي صبغة اصطبغ بها وما اشد تضايقي حتى تتم » (لوقا ١٢/٥٠) اي لي معمودية يجب ان اتعمد بهـــا وهي معمودية الدم . ومن المعلوم انه في هذه المعمودية سيحرر البشرية باجمعها من نير الخطيئة الاصلية ومن مخالب ابليس ويمنحها قدرةً على ان تحيا حياة ابناء الله .

س ــ ما هي انواع المعمودية ؟

ج ــ انواع المعمودية ثلاثة : معمودية الماء (وتكون بالتغطيس او بالغسل او بالرش) ومعمودية الشوق ومعمودية الدم .

س — ما هي معمودية الشوق ؟

ج — هي اشتياق الانسان الشديد الى قبول المعمودية التي تكلم عليها المسيح ، حين يتعذر عليه قبولها .

س — ما هي معمودية الدم ؟

ج — معمودية الدم هي تقدمة الانسان نفسه الى الاستشهاد حباً بايمانه المسيحي .

س — ما هي واجبات الانسان المسيحي الذي قبل سر المعمودية ؟

ج — واجبات الانسان المسيحي الذي قبل سر المعمودية هي ان يكون اميناً على نعمة الله التي اقتبلها ، ان يقوم بموجبات ومقتضيات المعمودية وان يكون رسولاً في بيئته وملحاً في المجتمع الانساني يقيه الفساد ويبث فيه ذوق وطعم الحياة الالهية .

سرّ التثبيت

س — ما هو سرُّ التثبيت ؟

ج — هو سرٌّ يرسّخ اقدام المؤمن في الايمان ليمنحه مواهب الروح القدس فيجعله جندياً يذود عن حرمات الله ومقدسات الدين. والميرون زيت وبلسم — رمز النشاط بدليل استعماله في دلك اجسام من يتأهبون للمصارعة — يشير في هذا السر الى ما يشيع في نفس المؤمن من قوة ونشاط للثبات في الدين وللدفاع عنه .

سرّ القربان الاقدس

س — ما هو سر القربان الاقدس او الافخارستيا ؟

ج — الافخارستيا هي سر حضور ربنـا يسوع المسيح حضوراً حقيقياً بجسده ودمه ونفسه ولاهوته تحت اعراض الخبز والخمر.

س — كيف ومتى انشأ السيد المسيح هذا السر ؟

ج — انشأ السيد المسيح هذا السر ليلة موته على الصليب لما اخذ خبزاً وباركه واعطاه للرسل قائلاً : « خذوا وكلوا هذا هو جسدي الذي يُبذَل لاجلكم » . ثم اخذ كأساً فيها خمر واعطاهم قائلاً : « خذوا واشربوا من هذا كلكم ، هذا هو دمي العهد الجديـد الذي يهراق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا . اصنعوا هذا لذكري » (متى ٢٦/٢٦ لوقا ٢٢/١٩ — ١ كورنثيين ١١/٢٣) .

س — ماذا فعل السيد المسيح بهذه الكلمات : « هذا هو جسدي، هذا هو دمي. اصنعوا ذلك لذكري » ؟

ج — بهذه الكلمات « هذا هو جسدي ، هذا هو دمي » حوّل الخبز الى جسده والخمر الى دمه . وبهذه الكلمات « اصنعوا ذلك لذكري » اعطى الرسل والاساقفة والكهنة من بعدهم سلطاناً ليحوّلوا مثله الخبز الى جسده والخمر الى دمه .

س — لماذا ادَّخر السيد المسيح تأسيس الافخارستيا الى ليلة صلبه ؟

ج — ادَّخر السيد المسيح تأسيس الافخارستيا الى ليلة صلبه كي يربطها بسر الفداء ويجعلها تتخذ نفاذها من آلامه وموته

وتكون فيما بعد تجديداً رمزياً لذبيحته على الصليب . ثم لكي يمنح لصلبه طابع الذبيحة الاختيارية المقدسة بدلاً من طابع الجريمة اللاحق به من قِبَل اليهود .

س — ما هي غاية السيد المسيح بانشاء سر الافخارستيا ؟

ج — للسيد المسيح ثلاث غايات من انشائه سر الافخارستيا :

١ً — تجديد ذبيحة الصليب بنوع سرّي دائم بذبيحة القداس.

٢ً — تغذية النفوس من حياته الالهية وتسهيل عمل الخلاص.

٣ً — المكوث الدائم بيننا بحضوره السرّي في كنائسنا .

س — ما هو القداس ؟

ج — القداس هو الذبيحة التي انشأها السيد المسيح ليجدد فيها ذكرى صلبه ويجعلها بديمومة مستمرّة على الارض كي يتيح لمسيحيي الاجيال قاطبةً ان يشركوا ذبيحتهم بذبيحته ويستفيدوا عملياً من استحقاقات صلبه وقيامته . فالقداس هو ذبيحة الكنيسة باسرها .

س — كيف يكون القداس ذبيحة الكنيسة ؟

ج — القداس هو ذبيحة الكنيسة بالشكل التالي : ان المسيح كان على الصليب كاهناً وذبيحةً معاً . قرَّب ذاته قرباناً لله ابيه وقرَّب معه البشرية بحيث غسلها من ادرانها بدمه الذكي وكانت البشرية تقدمه بآن واحد الى الله كثمرة جهودها المتجددة . وفي القداس هي الكنيسة ، البشرية المتجددة ، تنضم الى المسيح لتقرّبه لله ابيه وتقرّب ذاتها معه بآن واحد،

ذبيحة تكفير ورضى وخلاص . هذا ما ترمز اليه نقطة الماء التي يمزجها الكاهن بالخمر .

س — ولكن كيف تمثل رتبة القداس ذبيحة الصليب ؟

ج — لا تمثل رتبة القداس ذبيحة الصليب تمثيلاً دراماتيكياً، ولكن بالشكل الرمزي الذي اراده السيد المسيح نفسه اعني بـه تكريس الخبز والخمر . فالكاهن المنحني على الخبز وعلى الكأس يلفظ كلمات السيد المسيح نفسه ويردد العمل الذي عمله لاول مرة ليرمز عن آلامه . فالخبز والخمر يمثلان كما في العشاء السرّي سابقاً جسد المخلّص المبذول ودمه المسفوك على الصليب المنفصليْن عن بعضهما والمتحدَين معاً .

س — لماذا اختار السيد المسيح الخبز في الافخارستيا ؟

ج — اختار السيد المسيح الخبز في الافخارستيا لأنه يمثّل الانسان بالاكثر فهو ثمرة تعبه وجهاده ، خبز الشقاء الذي فرضه الله على آدم عقيب سقوطه في الخطيئة لما قال له : « بعرق وجهك تأكل خبزاً » (تكوين ٣/٩) ، خبز الظلم الذي يتزاحم عليه البشر ويتخاصمون وخبز المحبة بالوقت ذاته اذا ما اراده البشر رابطة ما بينهم عندما يكون مـا بينهم « اكل خبز وملح » . فهذا الخبز المؤلف من حبات حنطة متعددة قد اختاره السيد المسيح وكرّسه واحاله في الافخارستيا الى جسده ودمه ونفسه ولاهوته في العشاء الاخير من حياته على الارض، على مائدة ضمّت اليها جميع رسله ، فجعله خبز المحبة الذي يتقاسمه البشر منذ الآن وصاعداً عـلى المائدة المقدسة في

الكنائس ، مائدة الاسرة البشرية الكبرى التي تضم اليها جميع ابناء آدم المتشتتين في العالم لتُحيلهم الى اخوة بالمسيح رغم تباين اللون والعرق والجنس والمرتبة ، وخبز العدالة الذي يرغم الكبير ليحدب على الصغير والغني ليحنو على الفقير وينظر فيه اخاً مفتدىً نظيره بدم المسيح الفادي .

س — ولماذا اختار السيد المسيح الخمر ايضاً في الافخارستيا ؟

ج — اختار السيد المسيح الخمر في الافخارستيا لأنه يمثّل عذاب الانسان ومحنه وألمه — والخمر عصير الكرمة التي كانت تداس سابقاً بالارجل — وقد جاء ليقدس عذاب الانسان ويجعله اداة تكفير وخلاص بيده . فمنذ تأسيس الافخارستيا اصبح بمقدور الانسان ان يمزج كل يوم في القداس الالهي ليس فقط نقطة عذابه وآلامه مع نقطة الماء في كأس الخمر بل حياته اليومية بكاملها مع كل ما فيها من الاعمال التافهة الرتيبة والمضنية لتتخذ استحقاقات ابدية لا حد لها .

س — فالافخارستيا تهيئ اذن ملكوت الله للبشر منذ هذه الدنيا ؟

ج — نعم ان الافخارستيا تهيّئ ملكوت الله للبشر منذ هذه الدنيا إذ انها تفيض عليهم نِعَم الفداء بوفرة وتساعدهم على تغيير حياتهم اليومية وتأليهها بنوع ما لتكون اهلاً يوماً بملكوت الله .

س — ما هي اقسام القداس ؟

ج — يُقسم القداس الى ثلاثة اقسام :

١ – تقدمة الخبز والخمر بعـد التهاليل وقراءات الاسفار المقدسة من العهدين القديم والجديد .

٢ – تكريس الخبز والخمر .

٣ – المناولة .

س – ما هو الاسلوب الافضل لحضور ذبيحة القداس ؟

ج – افضل اسلوب لحضور ذبيحة القداس هو الاشتراك بها مع الكاهن والمتابعة بتقوى حركاته وصلواته . ويكمل اشتراكنا في الذبيحة بتناولنا القربان المقدس .

سر التوبة

س – ما هو سرّ التوبة ؟

ج – هو سرّ انشأه السيد المسيح لمغفرة الخطايا المرتكبة بعد المعمودية .

س – وهل غفر السيد المسيح الخطايا ؟

ج – نعم غفر السيد المسيح للمخلّع خطاياه لما قال له : « ثِق يا بُنَيّ مغفورة لك خطاياك » (متى ٩ مرقس ٢) . وغفر للمرأة الزانية خطاياها بسبب ندامتها وتوبتها الصادقة فقال : «مغفورة خطاياكِ » (لوقا ٧/٣٦–٥٠) . وقلّد رسله سلطاناً لمغفرة الخطايا بقوله لهم : « إقبلوا الروح القدس فمن غفرتم خطاياهم غُفِرت لهم ومن امسكتم خطاياهم أُمسِكَت » (يوحنا ٢٠/٢٢) . واطلقهم في العالم ليكرزوا باسمه « بالتوبة لمغفرة الخطايا » (لوقا ٢٤/٤٧) .

س — ما هو مفعول سر التوبة ؟

ج — سر التوبة يعيد الى المؤمن ما فقده بالخطيئة من نعمة البرارة ويمحو عنه العقاب الابدي الذي استوجبته الخطايا المميتة .

س — كيف يجري سر التوبة ؟

ج — يجري سر التوبة على الوجه الآتي : يشكو المؤمن نفسه في كرسي الاعتراف بندامة وخشوع بمـــا اقترفه من خطايا والكاهن يستمع اليه كأبٍ يشعر بما يشعر به الناس من ضعف وكطبيب يعاونه بما يسديه اليه من نصائح وما يصفه له من دواء على استعادة ما فقده من برارة ، وكقاضٍ ينظر في دعواه فيصدر الحكم ويفرض العقاب : فيحكم مثلاً عـــلى السارق بالرد وعلى القاتل بالتكفير وعلى النمّام بالتعويض وهلمّ جرًّا . واذا أنس من التائب توبة حلّه من قيود آثامه واطلقه حراً نشيطاً مرتاح البال وقد زوّده سلاحاً جديداً لخوض معركة جديدة .

س — لماذا وساطة الكاهن ؟ الا يستطيع الانسان ان يعترف بخطاياه الى الله مباشرةً دون وساطة الكاهن ؟

ج — ان ما قلّده السيد المسيح تلاميذه من سلطان عـــلى مغفرة الخطايا يفترض ضرورة الاعتراف للكاهن . واذا ما عللنا تشريعه هذا وجدنا من الاسباب التي حدته على اتخاذ مثل هذا الاجراء ما يلي :

١ — ان الاعتراف امام الكاهن — والكاهن مُعرَّض للخطأ كالتائب — فيه تذليل للكبرياء ، مصدر الخطيئة ، وتذليل

الكبرياء علامة صادقة من علامات التوبة الحقة .

٢ ــ ان الاعتراف امام الكاهن ضروري لأن الخطيئة ظلمة على ما اشار السيد المسيح لأنها جهل وغرور ، والتوبة نور والانتقال من الظلمة الى النور لا يكون الاّ على يد دليل يؤمّن معه العِثار ، وهذا الدليل هو الكاهن .

٣ ــ ان الاعتراف امام الكاهن ضروري لأن الخطيئة معناها وثنية تقوم على عبادة آلهة هي صنع ايدي الانسان (المال، الجاه ، اللذة) . وهل يجرؤ الخاطئ على تحطيم آلهة عبدها بالامس ؟ فالكاهن يساعد التائب على تحطيم آلهته الكاذبة .

٤ ــ ان الاعتراف امام الكاهن ضروري لأنه ما من انسان يصلح النظر في دعواه الشخصية . والكاهن هو القاضي النزيه الذي يصلح النظر في دعوى التائب ويأمره بالتعويض حيثما يجب التعويض .

٥ ــ ان الاعتراف امام الكاهن ضروري اخيراً لأنه يتيح للتائب ان يتيقّن من صدق توبته . اذ ان الانسان كما انه لا يمكنه ان يتيقّن من محبته لله الاّ اذا احب القريب ، كذلك لا يمكنه ان يتيقّن من صدق توبته الاّ اذا اعترف بخطاياه امام كاهن المسيح . ومن المعلوم ان الكاهن ملزم بحفظ السر ولو كلّفه حفظه الحياة ولربما حمل الدية لذوي القتيل والرد لمن أُصيب بماله ، يلزم بهما قاتلاً او سارقاً لا تناله يد العدالة ، والجاني يعرف ان سره دفين وانه لاهون على صاحبه نزول القبر من افشائه .

سر مسحة المرضى

س — ما هو سر مسحة المرضى ؟

ج — هو سر انشأه السيد المسيح لاسعاف المرضى الذين هم في خطر الموت نفساً وجسداً .

س — بماذا هذا السر يسعف المريض في نفسه ؟

ج — هذا السر يمحو ما تبقى على المريض من خطايا ويمسح على جراحه بالتعزية المسيحية فيجبه الموت واثقاً من رحمة ربه مطمئناً الى حسن المصير .

س — بماذا هذا السر يسعف المريض بجسده ؟

ج — هذا السر يساعد المريض على احتمال اوجاعه . وقد يمنحه الشفاء احياناً ان رأى الله ذلك صالحاً لخلاص نفسه .

س — الى ماذا يشير الزيت في هذا السر ؟

ج — الزيت الذي يدهن به الكاهن حواس المريض يشير مثله في سر التثبيت الى الشجاعة والعافية الروحية وقد اوضح ذلك يعقوب الرسول بقوله : « هل فيكم مريض ، فليستدعِ كهنة « الكنيسة ليصلّوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب . فان « صلاة الايمان تخلّص المريض والرب ينهضه . وان كان قد « ارتكب خطايا تُغفَر له » (رسالة القديس يعقوب ١٤/٥) .

سر الزواج

س – ما هو الزواج ؟

ج – الزواج هو سر يقدّس قران الزوجين ويمنحهما من النعم ما يمكّنهما من النهوض باعباء الحياة الزوجية ، ويرمز الى اتحاد المسيح بالكنيسة على مـــا اعلن بولس الرسول حيث قال :
« ايها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح كنيسته وبذل
« نفسه لاجلها ليقدسها مُطهِّراً اياها بغسل المـــاء وكلمة
« الحياة ، ليهديها لنفسه كنيسة مجيدة لا كلف فيها ولا
« غضن ولا شيء مثل ذلك . بل تكون مقدّسة منزّهة عن
« كل عيب . فكذلك يجب على الرجال ان يحبوا نساءهم
« كاجسادهم ... ولذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته
« فيصيران كلاهما جسداً واحداً . ان هـــذا لسرٌّ عظيم »
(افسس ٥/٢٥) .

س – من وضع اسس الزواج ؟

ج – هو الله تعالى الذي وضع اسس الزواج في فجر الخليقة يوم خلق الانسان ذكراً واحداً وانثى واحـــدة وباركهما وجمعهما بعضهما ببعض . ويستدل ذلك من هتاف الانسان الاول آدم لما وجد المرأة قباله : « هذه عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي » . ثم يضيف الكتاب المقدس ويقول : « لذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً » (تكوين ٢/٢١) . فالزواج يستمد وحدته اذن من الله مباشرةً .

س – من اين اتت عادة تعدد الازواج ؟

ج – اتت عادة تعدد الازواج من جرّاء الخطيئة الاصلية وانحراف الطبيعة البشرية عن الطريق السوي .

س – ماذا كان تشريع السيد المسيح بشأن الزواج ؟

ج – اعاد السيد المسيح الى الزواج قدسياته بان ردَّه الى وضعه الامثل اي الى وحدته وعدم انفصاله لمـــا دحض مزاعم الفريسيين في ما يختص بالطلاق بقوله : « اما قرأتم ان الذي « خلق الانسان في البدء ذكراً وانثى خلقهما وقال : لذلك « يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسداً « واحداً فليسا هما اثنين بعد ولكنهما جسد واحد وما جمعه « الله فلا يفرقه انسان » (متى ١٩/٤–٧) .

س – بماذا يقوم جوهر الزواج ؟

ج – يقوم جوهر الزواج بالعقد الذي تجري بموجبه مبادلة الرضى ما بين الرجل والمرأة حيث يهب كل منهما نفسه للآخر بملء حريته واختياره .

س – ما هي الغاية من الزواج ؟

ج – غاية الزواج ثلاثة : ولادة البنين وتربيتهم ، واخماد نار الشهوة ، ومبادلة المساعدة لتذليل صعاب الحياة .

س – لماذا تعدد الازواج يتنافى وعقد الزواج ؟

ج – تعدد الازواج يتنافى وعقد الزواج لان طبيعة الزواج تفرض الوحدة وتنفي الازدواج . فالمتعاقدان يهب كل منهما صاحبه

الحق الزوجي هبة لا رجعة عنها . وهذا ما عبّر عنه بولس الرسول بقوله : « ان المرأة لا تتسلط عـلى جسدها بل رجلها وكذلك الرجل لا يتسلط على جسده بل امرأته » . (١ كورنتس ٧/٤) فلا الرجل يملك بعد حق التصرف بجسده وقلبه ولا المرأة . ومن فعل نقض العهد وخان . ثم ان تعدد الازواج تجديف عـلى مفهوم الحب الصافي . يقسم الرجل بالانجيل على ان يحبس قلبه على شريكة حياته ثم يقاسمه سواها فيشركها فيه فيحنث بالقسم ويخون العهود . وما يُقال في الرجل يصح قوله في المرأة . والقلب لا تجزئة فيه ولا تقسيم ولا يوهب مرات في الزواج بل مرة واحدة ، تتجدد كل يوم وكل ساعة ويكافح الزوجان في سبيل الدفـاع عن سعادتهما فيضحي كل منهما بالنزوات العارضة والمغريات الفاتنة ليبقيا على عهد الوفاء والاخلاص .

س — هل يملك الزوجان حق نقض عقد الزواج ؟

ج — يملك الزوجان حق عقد الزواج ولكنهما لا يملكان حق نقضه وما ازوجه الله لا يفرّقه انسان . فلا طلاق اذن في المسيحية ويستمد الزواج المسيحي صفة الثبات وعدم الانفصام من مشابهته باتحاد المسيح بالكنيسة : « فكما اتحد المسيح بكنيسته هكذا يكون اتحاد الرجل بالمرأة » ، يقول بولس الرسول (افسس ٥/٢٥) .

س — ما هي منافع عدم انحلال الزواج ؟

ج — عدم انحلال الزواج يساعد الزوجين على توطيد الالفة والمحبة.

فمتى رسخ في ذهنهما ان لا افتراق لاحدهما عن الآخر عمل كل منهما على ترويض ارادته وتذليل ما يعترضه من صعاب، فخنق روح الشهوة وتسامى فوق اسباب الاغراء وجهد في صد التجربة وصبر على مشاق الحياة وقاسم شريك حياته افراحه واتراحه، وهكذا تشيع الالفة بين الزوجين ويسود السلام.

س – ما هي مضار انحلال الزواج او الطلاق ؟

ج – فكرة انحلال الزواج او الطلاق تجعل الثقة تنعدم بين الزوجين ويسود العيلة جو من الحذر والريبة فتروح المرأة تتأهب ليوم الطلاق العصيب فلا تستسلم لزوجها بثقة. وربما احتفظت بمالها الشخصي او ادّخرت ما تختلسه من مال زوجها، وربما تمنّت له فقراً يحول دون اتيانها بضرة. وكذلك الرجل يروح يراقب زوجته مراقبة صارمة لا تتفق وروح المحبة العائلي. وكم من رجل طلّق امرأته في ساعة غيظ ونزق ثم ندم حين لا ينفع الندم! وكم من زوجة تعرّضت بعد الطلاق لادهى المصائب، إمّا للشرود والانحطاط الخلقي وإمّا للبؤس والشقاء! وما القول عن أثر الطلاق في اخلاق الاولاد فهو يقضي على سعادتهم بعد فصلهم عن والدهم او والدتهم فينشأون إمّا لا والدة تلطف من قسوة السلطان الوالدي وترطب من جفاف حزمه وإمّا لا والد يدخل على حنان الوالدة بعضاً من حزمه فتفقد نفسية الاولاد بعضاً من عناصر اتزانها فتسوء اخلاقهم وتشرس طباعهم فيشبون وفي قلبهم نقمة على الحياة وايجاس من الناس يطبعهم مدى العمر.

س – **ولكن ما الحيلة بزوجة مستهترة او زوج خليع ؟ وهل من العدل ان يقضي على الزواج البريء مدة الحياة بالعيشة في جحيم مقيم ؟ افلا يكون الطلاق في هذه الحال خير وسيلة للنجاة ؟**

ج – ليس من ينكر انه قد يصدف ان تقع حوادث زواج لا يكون التوفيق فيها حليف الزوجين فيستحيل الانسجام بينهما وتتعذر المساكنة . انما تبقى هذه الحوادث شواذاً تثبت القاعدة . فالشمس ولو حدث ان احرقت نبتة واودت بحياة حيوان او انسان ، تبقى عنصراً جوهرياً من عناصر الحياة للنبات وللحيوان وللانسان . والطائرة ولو حدث ان انفجرت مرةً بركابها واحدثت ضحايا تبقى اختراعاً له خير الفوائد ، وكذا الزواج الثابت الوثاق ، ولو تعذّر فيه احياناً التفاهم بين الزوجين يبقى مدرسة لترويض الارادة وصقل الاخلاق وتلقين مبادئ التضحية والكفران بالذات .

س – **ولكن ما الحيلة اذا استعصى التوفيق بين الزوجين واستحكم الخلاف ؟**

ج – اذا استعصى التوفيق بين الزوجين واستحكم الخلاف فلا يبقى الاّ الهجر ، والكنيسة تحكم فيه إمّا الى حين ريثما تهدأ العاصفة وتتبدد الغيوم وإمّا الى الابد ، على ان لا يعقبه زواج جديد ما دام الزوج المهجور حياً . وهذا ما يجب ان يدفع طالبي الزواج الى التروي والتبصر فلا يقدمون على عقده عن خفة وطيش . واذا كانت الكنيسة تنصح بالخطبة تأهباً للزواج فلكي تتيح لكلا الطالبين ان يتعرف كل منهما الى صاحبه فيدرس اخلاقه ويطلع على احواله ، فاذا كان هناك من وحدة في التفكير والايمان والاهداف اقدم والاّ احجم .

وشرط التوفيق في كل زواج هو الإقدام عليه لا بدافع من شهوة بل بحافز من احترام ومحبة وخشية الله في قلب طالبيه وبريق النعمة يشع في عيونهما فيسهل التعاضد اذ ذاك وتحلو الحياة .

س — ما هي واجبات الزوجين نحو بعضهما ؟

ج — واجبات الزوجين نحو بعضهما هي المحبة والوفاء والامانة على العهد والثقـة واحتمال نقائص بعضهما بعضاً وروح التفاهم والغيرة على خلاص كليهما .

س — بماذا يقوم روح التفاهم بين الزوجين ؟

ج — يقوم روح التفاهم بين الزوجين بان يدرس كل منهما نفسية الآخر ويلم بحاله وحاجته ليستطيع ان يسد عوزه ، ذلك لأن الرجل والمرأة جزءان متكاملان كل منهما يكمّل لآخر وقد خُلِقا مختلفين ليس بالجنس وحسب بل بالطبع والمزاج ايضاً، فخشونة الرجل وقوة ساعده وحزم إرادته وتعقله ضروري للمرأة كي تتوكأ عليه في ضعفها ووهنها ، كما وان لطف المرأة ورقـّة شعورها وصبرها وقوّة جَلَدِها ضروري للرجل وقت الامراض والمحن وضروري ايضاً بنوع خاص لتربية الطفل . فالرجل هو بمثابة العقل في الانسان والمرأة بمثابة القلب . فما قيمة عقل يعقل بدون قلب وما قيمة قلب يحنو بدون عقل؟ هما جزءان متكاملان كل منهما ضروري للآخر ولن يكتمل الاّ به وبقدر ما يسعى لتفهم نفسيته وسد حاجته .

س — وبماذا تقوم الغيرة على خلاص كل من الزوجين ؟

ج — تقوم الغيرة على خلاص الزوجين بان يعمل كل منهما على تغذية وتقوية ايمان الآخر بالله وعلى درء الاخطار الروحية عنه وتوفير الوسائل الروحية المجدية له للتحرر من ميولـه وشهواته المنحرفة والارتقاء به في معارج الكمال . وبالجملة ، الزوجان هما شخصان يستندان الواحد الى الآخر ليصعدا الى الله .

سر الكهنوت

س — ما هو سر الكهنوت ؟

ج — هو سر يخوّل الرجل الذي يقتبلـه السلطان لمنح الاسرار وتوزيعها على المؤمنين ارشاداً للنفوس الى طريق السماء، ويجعل من الكاهن وكيلاً للمسيح ، يقف النفس على نشر رسالته والعناية بالنفوس يرافقها من المهد الى اللحد . فهو باسم المسيح والكنيسة يتلقى المؤمن طفلاً عـلى حوض العماد فيلده لحياة النعمة . وهو يفتح عقله صغيراً على نور المبادئ المسيحية وهو يغذو نفسه حدثاً بخبز السماء ويغسل له آثامه في منبر التوبة لدى سقوطه وعثاره ، ويبارك افراحه شاباً عندما يهب قلبه مَن انتقاها شريكةً لحياته ، وهو اخيراً يكون بجانبه في ساعات النزع فيغمض عينيه وشفتيه على رسم الصليب ويشيّع جثمانه الى مقره الاخير على الحان الصلوات الطقسية .

س — هل يستطيع كل انسان ان يكون كاهناً ؟

ج — ليس بمقدور كل انسان ان يكون كاهناً . انما حياة الكاهن

دعوة خاصة من الله . وهو كالمسيح الذي يمثل يبقى لغزاً في اعين الناس ، يخوض معركة الحياة وحيداً ، سلاحه ايمان وطيد وثقة عمياء بذاك الذي قال لتلاميذه : « ليس انتم اخترتموني بل انا اخترتكم واقتكم لتنطلقوا وتأتوا بأثمار وتدوم اثماركم » (يوحنا ١٥/١٦) .

س — وهل الحياة البتولية اكمل من الحياة الزوجية ؟

ج — نعم الحياة البتولية في الكهنوت او في الرهبانيــة لاكمل من الحياة الزوجية لأنها اكثر مطابقة لحياة السيد المسيح ولأنها وقف على خدمة الله والقريب فقط .

س — وهل الكهنوت وقف على الكاهن فقط ، أليس للعلمانيين او بقية افراد شعب الله شركة فيه ؟

ج — ليس الكهنوت وقفاً على الكاهن فقط بل لجميع افراد شعب الله شركة فيه كما اوضح ذلك القديس بطرس : « واما انتم فجيل مختار وكهنوت ملوكي وامة مقدسة » (١ بطرس ٢/٩) . فعندما يقوم الكاهن بالخدمة الكهنوتية الجماعية يكون مندوباً فقط عن شعب الله : واما ما تبقى من الوظائف الكهنوتية كسلطان مغفرة الخطايا وتحويل الخبز والخمر الى جسد ودم لاهوت المسيح في القداس فهذا من خاصيات الكاهن وحده .

الدرس الحادي عشر

في الصلاة

س – ما هي الصلاة ؟

ج – الصلاة هي الحضور بالفكر والقلب امام الله للسجود والشكران والاستغفار والطلب .

س – وهل الصلاة ضرورية للانسان ؟

ج – نعم ان الصلاة ضرورية للانسان لأنه بواسطتها يستطيع ان يقوم بواجباته نحو الله .

س – وما هي واجبات الانسان نحو الله ؟

ج – واجبات الانسان نحو الله اربعة :

١ – ان يسجد لله اي ان يقر له بسلطانه كخالق على جميع المخلوقات وعليه هو الانسان بنوع خاص .

٢ – ان يشكره على نعمه وعطاياه الجسدية والروحية التي ما برح يغمره بها .

٣ – ان يستغفره على ما اقترف امامه من هفوات وما اهمله تجاهه وتجاه قريبه من واجبات .

٤ – ان يطلب مراحمه تعالى له ولاخوانه البشر ولا سيما عونه الالهي لاجتناب الشر وصنع الخير واتباع الفضيلة .

س – ما هي افضل الصلوات ؟

ج – افضل الصلوات هي الصلاة الربية لان ربنا يسوع المسيح هو الذي علمناها .

س – قل الصلاة الربية ؟

ج – ابانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . اعطنا خبزنا كفاف يومنا واغفر لنا خطايانا كما نحن نغفر لمن اساء الينا ولا تدخلنا في التجربة لكن نجّنا من الشرير . آمين .

س – ماذا تتضمن الصلاة الربية ؟

ج – الصلاة الربية هي انجيل مُصغّر ضمّنها السيد المسيح جوهر رسالته فهي تحدّث عن حب الله للانسان وعن ثقة الانسان البنوية بالله ومحبته لاخيه الانسان ورغبته في الصفح عن اساءاته وقد ارادها حديث قلوب بين الخليقة والخالق ، بين الابن وابيه ، لا لائحة حاجات وعريضة مظالم تُعرَض على إله عاتٍ لا سبيل الى استمالته الاّ بالتملّق والمداهنة ؛ اي مؤانسة بين شخصين توثقت بينهما روابط المحبة فلا يطلب كل منهما الاّ ما هو خير صاحبه ، فيتنازل الله عن عظمته ليغمر

بحنانه الانسان الذي رفعه الى مصاف الابناء ورثة النعيم الابدي ويترفع الانسان في تواضع فيرمق الله اباه بعين الثقة لعلمه ان خير الله هو خيره وقد خُلِق هو لاجل الله لا الله لاجله ، فيطلب اول ما يطلب مجد الله ابيه وبعدئذٍ يطلب ما يحتاج اليه من خبز وغفران وقوة عـــلى تذليل الصعاب وقهر التجارب وفقاً لارادته تعالى التي يستسلم لها في طاعة عمياء . واذا الصلاة اخيراً ذبيحة شكران ومحرقة كبشها الارادة الشخصية تُضحّى على مذبح الطاعة تمجيداً لله .

س – متى يجب ان نصلّي ؟

ج – يجب ان نصلّي من حين الى حين وخصوصاً الصباح عند بدء النهار والمساء قبل الذهاب الى الرقـــاد وفي التجارب والضيقات والمخاطر وقبل وبعد تناول وجبات الطعام .

س – ما قولك بالصلاة الجماعية ؟

ج – الصلاة الجماعية افضل من الصلاة الفردية بعين الله وقد بيَّن لنا السيد المسيح بقوله : «حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون هناك فيما بينهم » (متى ١٨/٢٠) . ولهذا يجب ان نشترك بكل صلاة جمهورية لا سيما بحضور ذبيحة القداس الالهي ايام الآحاد والاعياد المأمورة .

الدّرس الثّاني عشر

في شرعة الإنجيل

س – ما هي شرعة الانجيل ؟

ج – شرعة الانجيل هي مجموعة الشرائع والوصايا والارشادات التي تركها السيد المسيح في تعاليمه للبشر ليسلكوا بموجبها طبقاً لما اوحاه لهم من حقائق نظرية وايمانية .

س – اذن في الدين المسيحي ناحيتان ناحية نظرية وناحية عملية ؟

ج – نعم في الدين المسيحي كما في جميع الاديان ناحيتان ، ناحية نظرية تتناول مجموعة العقائد ، موضوع الايمان ، وناحية عملية تتناول مجموعة الشرائع والرسوم التي يسير المؤمن على هديها . والشرائع عادةً مستوحاة من العقائد فهي كالثمرة من الشجرة ، وتستقيم الشريعة ما استقامت العقيدة وتلتوي اذا التوت .

س – على اي اساس ترتكز الناحية النظرية والعقائدية في المسيحية ؟

ج – ترتكز الناحية النظرية والعقائدية في المسيحية على ثالث الحقيقة

الكبرى التي كشفها السيد المسيح للبشر الا وهي ابوة الله للبشر ورفقه الخلاصي بهم . هو رفقه اللامتناهي الذي حداه ليرسل ابنه الوحيد الى ارض البشر لكي ينقذهم من براثن الشر فنزل الابن عند رغبة ابيه وتجسد وصار انساناً وافتدى البشر بدمه على الصليب وصالحهم مع الله ابيه واستحق لهم النعمة ليكونوا ابناء الله بالتبنّي وورثته في السماء .

س — وعلى اي اساس اذن ترتكز الناحية العملية في المسيحية ؟

ج — ترتكز الناحية العملية في المسيحية على ان يسلك المسيحي في حياته سلوكاً يليق بابن الله اي ان يحب الله فوق كل شيء حباً نزيهاً نقياً لا غش فيه وان يحب البشر حباً بالله ابيهم وكما يحبهم الله ابوهم اذا امكن ، وذلك لأنهم اصبحوا اخوةً له بالمسيح ، ولهذا تحتل المحبة مكاناً رئيسياً في شرعة الانجيل واخلاقيته .

س — اين توجد الخطوط الكبرى لشرعة الانجيل ؟

ج — توجد اهم الخطوط الكبرى لشرعة الانجيل في عظـــة السيد المسيح على الجبل وهي تتناول الفصول الثلاثة ، الخامس والسادس والسابع من انجيل متى وبعضها في الفصل التاسع عشر منه . ثم في خطابه الوداعي الاخير في العشاء السري وهو يتناول خمسة فصول من انجيل يوحنـــا اي من الفصل الثالث عشر الى الفصل الثامن عشر ؛ وما تبقى انك لتجده هنا وهناك في الاناجيل الاربعة وفي رسائل القديس بولس تبعاً للظروف التي أُلقي فيها او علّق الرسل والتلاميذ عليها .

س — ما هي واجبات المسيحي وفرائضه حسب شرعة الانجيل ؟

ج — واجبات المسيحي وفرائضه حسب شرعة الانجيل هي : عبادة الله بروح بنوي نزيه ، محبة القريب ، احترام المرأة ، العدالة ، طهارة القلب ، حب الحقيقة والصراحة ومكافحة الرثاء والكذب ، التواضع ، والثقة الكاملة به تعالى والايمان بحبه الوالدي ، العمل والشغل واحتمال مكاره الحياة بروح تكفير وتمحيص للافادة من نعم الفداء .

س — بماذا تقوم محبة القريب ؟

ج — تقوم محبة القريب بان نبغي له الخير الذي نبتغيه لانفسنا عملاً بكلام السيد المسيح القائل : « كل ما تريدون ان يفعل الناس لكم افعلوه انتم لهم فان هذا هو الناموس والانبياء » . (متى ١٢/٧) وان نحبه ونبذل النفس بخدمته كما احبه الله وبذل ذاته لاجله ، وهو القائل لنا ايضاً بهذا الصدد : « كما احبني الآب كذلك انا احببتكم . اثبتوا في محبتي ... هذه هي وصيتي ان يحب بعضكم بعضاً كما انا احببتكم . ليس لاحد حب اعظم من هذا ان يبذل نفسه عن احبائـــه » (يوحنا ١٥/٩–١٣) . وان نغفر له السيآت التي اقترفها نحونا كما نودّ ان يغفر لنا الله سيآتنا ، علماً منا بانه تعالى سوف يعاملنا بالطريقة عينها التي عاملنا القريب بها ، الم يقل ايضاً : « فانكم ان غفرتم للنـــاس زلاّتهم يغفر لكم ابوكم السماوي « زلاّتكم وان لم تغفروا للناس فابوكم ايضاً لا يغفر لكم « زلاّتكم » (متى ٦/١٤) .

س – وهل تستثني شريعة المحبة من نطاقها احداً ؟

ج – لا تستثني شريعة المحبة احـــداً فهي تتناول حتى الاعداء انفسهم كما اقرّ السيد المسيح ان يكون : « قد سمعتم انه « قيل احبب قريبك وابغض عدوك اما انا فاقول لكم احبوا « اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلّوا لاجل من يُعنتكم « ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السماوات لانه يطلع « شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين » (متى ٥/ ٤٣–٤٥) .

س – ما هو العمل الخيّر الذي أدّته شرعة الانجيل للمرأة ؟

ج – لقد عمل الانجيل على تحرير المرأة فأبان انها في مقام الرجل من حيث المصير الابدي. فالسيد المسيح احاطها بكثير من العطف والشفقة ونصّب امه العذراء مثالاً اعلى لها تقتدي به . انحنى على شقائها فاوضح انه جاء ليفتديها كالرجل ، فساوى بين خطيئة الزانية وخطيئة من اغووهـــا فأبى ان تُرجَم وربما كانوا اثقل جرماً منها (يوحنا ٨) . وعلم انها ليست سلعة تباع وتشترى ولا هي متعة انما شريكة للرجل وهو مدين لها لأنها تكمله . لا يجوز له ان يطلّقها ولا ان يأتيها بضرائر يقاسمنها قلبه وحبه ، وهي ربة البيت والاسرة مثله . واخيراً استعان السيد المسيح بخدمات المرأة للكرازة بالانجيل ونشر ملكوت الله (لوقا ٨ يوحنا ٤) واتاح لها ان تستغل اجمل وأسمى مقوماتها وقـــد احتلت بفضل لطفها وسخائها وحماسها لصنع الخـــير والمبرات المركز الاول في الكون فأضحت ثمة سيدة المجتمع . وكان ذلك حدثاً جديداً ونقطة

انطلاق جديدة في تاريخ الحضارة البشرية وبدأت منذ ذاك الحين الحضارة المسيحية تمتاز عن غيرها .

س ــ وهل تابعت الكنيسة منهج السيد المسيح في ما يختص بالمرأة ؟

ج ــ نعم لقد ناصرت الكنيسة المرأة عملاً بتعاليم المسيح فعملت على انالتها حقوقها واستعانت بها في الرهبانيات النسائية وعهدت اليها بتهذيب النشء وبالتخفيف من آلام البشرية في المستشفيات والمآوي والمياتم ودور العجزة ، واعتمدت عليها رسول نور وحق ومحبة فكانت ملاك رحمة ، تحمل الى الناس قبساً من دفء المحبة ومن شعاع الصليب .

س ــ ما كان أثر شريعة المحبة في المجتمع والحضارة ؟

ج ــ كان أثر شريعة المحبة في المجتمع والحضارة بالغ المدى، منه انها قضت على الرقيق وحررت العبيد من طغيان الرعيل الاول بحيث ارغمت هؤلاء الى ان يروا في العبيد بشراً مفتدين مثلهم بدم المسيح الفادي . ثم غيَّرت مفهوم الدولة فجعلت الكبير بخدمة الصغير والرئيس بخدمة المرؤوس والدولة بخدمة الرعايا تحقيقاً لرغبة السيد المسيح الذي قال لتلاميذه : « من اراد ان يكون فيكم كبيراً فليكن لكم خادماً . ومن اراد ان يكون فيكم اول فليكن لكم عبداً كما ان ابن الانسان (المسيح) لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم ويبذل نفسه فداءً عن كثيرين » . (متى ٢٠/ ٢٦ مرقس ١٠/٤٣) فظهرت لاول مرة في تاريخ البشرية مظاهر الديموقراطية الحقة واخيراً صححت مفهوم العدل وركَّزته على اسسٍ سليمة قويمة .

س — ماذا تفهم بالديموقراطية الحقة ؟

ج — افهم بالديموقراطية الحقة ان يكون الرئيس بخدمة المرؤوس وان يحترم جميع حرياته لا سيما حرية الضمير والمعتقد وحرية الفكر والقول والكتابة . وذلك لأن المرؤوس مفتدى بدم المسيح كالرئيس، يمثل قيماً روحية قائمة بذاتها.

س — وهل كان مفهوم العدل ناقصاً قبل المسيح ؟

ج — نعم كان مفهوم العدل ناقصاً قبل المسيح لأنه كان مرتكزاً على المبدإ القائـــل : « العين بالعين والسن بالسن » ، يصافي الانسان من صافاه ويعادي من عاداه بما في ذلك من جقد مكبوت في نفس من عوقب وتشف وكيد في نفس من عاقب. وهكذا كان العدل مدرجة للظلم على حـــد ما قال المبدأ اللاتيني : « الغلوُّ في العدل ، غلوٌّ في الظلم » وما استولد الظلم الاّ الظلم ، حلقة مفرغة لا نجاة منها الاّ بالمحبة . وقد جلا السيد المسيح هذه الحقيقة في مثل الابن الشاطر (لوقا ١٠) فأظهر ما تأويله : لو ان والد الابن الشاطر اصغى الى عدل ابنــه الاكبر ولم يقبل توبة ابنه الشاطر لانقلب العدل ظُلماً على الجميع ففقد الوالد ولده وعاد الولد الى سيرته الاولى الفاسدة التي عزم على تركها وقد ايأسه تصلب ابيه واخرجه عـــلى طاعته، ولكن الوالد تسامى في معاملة ابنه الاصغر فوق موجبات العدل الصارم فأحيا ابنه وقرّت عينه به. وكل عدل لا يستنير بشعاع المحبة ينقلب ظلماً بغيضاً . وكم من مجرم لا تقع عليه تبعة اجرامه بقدر ما تقع على والدين اورثـــاه جهازاً عصبياً

مريضاً ، او على مجتمع قسا عليه فدفعه بما اوقعه فيه من بؤس وشقاء دفعاً الى الاجرام .

س ــ وما كان اثر المحبة في تركيز العدالة الاجتماعية ؟

ج ــ كان اثر المحبة في تركيز العدالة الاجتماعية بالغ المــدى ايضاً فاسهمت كثيراً في خلقها بحيث دفعت الناس الى التحسس بآلام المتألم وساعدت على اصلاح حال العامل وانتشاله ممــا اوقعته فيه النظم الاجتماعية من بؤس ، وباطلاً تعالج القضايا الاجتماعية التي تتناول علاقات العامل بصاحب العمل ان لم تعالج على ضوء المحبة وفقاً لروح الانجيل ، لأن المحبة وحدها هي التي تعمل على تطوير العدالة وفقاً لمقتضيات التقدم والرقي. ورب صدقة بالأمس هي عدالة اليوم ورب صدقة اليوم تكون عدالةً في الغد . ولا غرابة ما دام العالم في تطور مستمر : وان ما نصح به البابا لاوون الثالث عشر سنة ١٨٩١ من اجور عائلية للعمّال من باب المحبة ، طالب به بيوس الحادي عشر من باب العدل سنة ١٩٣١ . وتطورت مفاهيم العدالة الاجتماعية فاذا بالبابا بيوس الثاني عشر يطالب باشراك العامل باربــاح العمل سنة ١٩٤٢ وبحقه بالملكية التي تقيه شر الاستعباد للدولة وللرأسمالية. وهكذا لا تزال المحبة السبيل لتوطيد العدالة الاجتماعية والسلام بين الناس .

س ــ اذن محبة القريب وتحرير المرأة هما نقطتان رئيسيتان في شرعة الانجيل ؟

ج ــ نعم ان محبة القريب وتحرير المرأة هما نقطتان رئيسيتان في شرعة الانجيل لا بل ركيزتا الحضارة المسيحية والديموقراطية الصحيحة.

يكفي لكل شعب ان يمارسها حتى يأتي بأجمل حضارة دون ان يفقد شيئاً من ميزته الخاصة . لهذا لا يوجد حضارة مسيحية واحدة بحصر المعنى بل حضارات متعددة على تعدد الشعوب والامم كالحضارة اللاتينية والسلافية والجرمانية والسكسونية وغداً الحضارة البيروندية الافريقية والملغاشية وغيرها ، تجمعها رابطة واحدة كبرى ألا وهي محبة القريب وتحرير المرأة ، هذا ما حدا القديس اوغسطينس على القول يوم سقوط روما بأيدي البرابرة سنة ٤١٠ وانهيار الامبراطورية الرومانية المسيحية : « ان سقوط روما لا يعني زوال الحضارة المسيحية فالحضارة المسيحية ليست منوطة بدولة ولا بشعب يكفي لكل أمة ان تمارس محبه القريب وتعمل على تحرير المرأة وفقاً لشرعة الانجيل حتى تأتي باجمل الحضارات وأوسعها ، فسقوط روما مفاده نهاية عالم قديم وبداية عالم جديد » .

س — وما هي الطهارة التي تأمر بحفظها شرعة الانجيل ؟

ج — الطهارة التي تأمر بحفظها شرعة الانجيل تقوم بأن يعتبر المسيحي نفسه انه ابنٌ لله القدوس وانه يتوجب عليه ان يحيا امامه حياة نقية تليق بقداسة ابيه السماوي اي ان يعتبر نفسه انساناً مفتدًى بالدم الإلهي لا حيواناً وان لا يستسلم لميوله المنحرفة وشهواته . بل عكس ذلك يجب ان يروّض جسده ويجعله طائعاً لناموس الروح حتى يغدو حراً . فالمرأة ليست اداة للذة الرجل ، لها قيمة قائمة بذاتها يجب ان تُحترَم ؛ ويجب على الرجل ألاّ يعمل الى انحرافها عن الطريق القويم . والزواج

يخفف من نيران الشهوة ولكن لن يخمدها بكاملها، له نواميس يجب ان تُرعى . مكافحة الطلاق والزنى والخيانة الزوجية من دأبها ان تحافظ على مقدسات الحب . والحب لن يقوم الاّ على التضحية .

س — قلت ان شرعة الانجيل تفرض على الانسان حب الحقيقة فماذا تفهم بذلك ؟

ج — افهم ان السيد المسيح يطلب من الانسان ان يتطوّع لخدمة الحقيقة فيكافح الرثاء والكذب والخداع والرشوة ، وان يكون صريحاً في كل اقواله واعماله ليكون كلامه : « لا لا ونعم ونعم» كما جاء في الانجيل (متى ٥/٣٧ و١/١–٦)، وان يعمل دوماً بخلوص نية واستقامة ضمير .

س — ماذا تفهم بكلمة « ان يعمل بثقة بنوية نحو الله ابيه » ؟

ج — افهم انه يُطلَب من المسيحي ان يتوكل على نعمة الله وعلى عنايته الوالدية اكثر منه على المال لأن حب المال كثيراً ما ينسيه الله ويضعف ثقته به. وقد سبق للسيد المسيح ان حذّر الناس من خطر المال حيث قال : « لا يستطيع احدٌ ان يعبد ربَّين لأنه إمَّا ان يُبغض الواحد ويُحِبَّ الآخر او يلازم الواحد ويرذل الآخر . لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال » . (متى ٦/٢٤) ثم ان يخدم الله بروح بنوي نزيه دون ان ينتظر منه المنافع المادية في هذه الدنيا فالعبادة والتقوى لا تُكَافأ على الارض (لوقا ١٢/٣٢ و١٧/٧) والغاية من الدين لا ان يدرَّ علينا الخيرات المادية بل ان يقودنا الى الله فقط .

س — وماذا تفهم بهذه العبارة « ان يعمل المسيحي ويحتمل المكاره بروح تكفير وتمحيص » ؟

ج — افهم انه يجب على المسيحي ان يعتبر ناموس الشغل والعمل نتيجة حتمية لسنّة الشقاء التي فرضها الله على الانسان عقيب سقوطه في الخطيئة ، وان يخضع لهذا التدبير الإلهي ويتخـذ العمل وسيلة للتكفير والتمحيص عن خطاياه وعن خطايا الاسرة البشرية الكبرى بكاملها، وان يمزج عرق كفاحه واتعابه ودموع محنه وآلامه مع دماء الفادي مساهمةً منه بافتداء ابناء البشر اخوانه . فان اقبل على وظيفته برغبة وضمير مسلكي وخلوص نية واجهد ذاته للتغلب على الحياة الرتيبة وان حاول ان يكون خادماً للجميع ، واضعاً مقوماته بخدمة الجميع « كُـلاًّ للكل » على حد قول بولس الرسول ، انما يصنع ذلك بروح التكفير والتمحيص ويسهم بعمل الفداء العام ، بعمل الله الخلاّق الذي يهدف الى جعل الكون اكثر انسانيةً واكثر طواعيةً للانسان ومن ثم اكثر فائدةً للخلاص الأبدي .

س — بماذا تمتاز اخلاقية الانجيل عن سواها ؟ ما هي ميزة شرعة الانجيل الفارقة ؟

ج — تمتاز اخلاقية الانجيل بالصفات التالية : صدق النيات ، الانفتاح على الجميع ، محبة القريب حتى بذل الذات ، عدم مقاومة العنف بالعنف .

س — مادا تفهم بصدق النيات ؟

ج — افهم بصدق النيات ان يعبـد الانسان ربه ويخدمه ويطلب مجده بنزاهة واخلاص دون ان يستهدف من تلك الخدمة نفعه

الذاتي ، وان يصنع المبرات بالخفية ما استطاع الى ذلك سبيلاً كي لا ينال مديح الناس ويأخذ اجره منهم عملاً بكلام السيد المسيح القائل : « احترزوا ألاّ تصنعوا برَّكم قدام الناس لكي ينظروكم والاّ فليس لكم اجرٌ عند ابيكم الذي في السماوات . فاذا صنعت صدقةً فلا تهتف قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع والأزقة لكي يمجدهم الناس . الحق اقول لكم انهم قد اخذوا اجرهم. اما انت فاذا صنعت صدقةً فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك لتكون صدقتك في خفية وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك » (متى ٦/١-٦) ؛ وان يعتمد بأعماله الصالحة على خلوص النية لا على كثرة الاعمال التقوية الخارجية ، لأن البشر ينظرون الى الأعمال لكن الله يزن النيات وهو لا يطلب منا ان نستحق بل ان نُحب وهو القائل في الكتاب المقدس : « يا بُنيَّ اعطني قلبك » .

س – ماذا تفهم بعبارة « اخلاقية الانجيل منفتحة على الجميع » ؟

ج – أفهم ان أخلاقية الانجيل غير مقفلة على ذاتها ، منفتحة على جميع البشر دون ايّما استثناء . اجل ، كانت الاخلاقية قبل المسيح مقفلةً في جميع الاديان ، اي مبنيةً على العرق واللون والدين او اللغة او الطائفة وما الى ذلك ، وكان الانسان لا يعامل بالحسنى الاّ من كان من لونه او لغته او دينه . اما المسيح فقد بنى اخلاقيته لا على العرق ولا على اللون ولا على الدين بل على كرامة الانسان الشخصية فقط ، ذلك لأن الانسان اصبح بفضل التجسد والفداء ابناً لله، ذا قيمة مطلقة

مستمدة من الله مباشرةً وقائمة بذاتها . ولهـــذا يتوجب على المسيحي ان يُحب كل انسان ويبذل ذاته في خدمة كل انسان من اي جنس او عرق او لون او لغة او دين كان ، لأنه انسان وانسان فقط ، مفتدى بدم ابن الله . هذا ما اوضحه بولس الرسول برسالته الى الكولسيين حيث قال : « اخلعوا « الانسان العتيق مع اعماله والبسوا الانسان الجديد الذي يتجدد « للمعرفة على صورة خالقه حيث ليس يوناني ولا يهودي ولا « ختان ولا قلف ولا أعجمي ولا اسكوتي ولا عبد ولا حرّ بل « المسيح هو كل شيء وفي الجميع » (كولسي ٣/٩) .

س — ماذا تفهم بمحبة القريب حتى بذل الذات ؟

ج — أفهم انه يتوجب على المسيحي ان يحب القريب على مثال السيد المسيح نفسه ، اي ان يتهالك ويتفانى بخدمته وان يهبه فوق صدقته وعطيته جزءًا من قلبه لا بل ذاته بكاملها ان امكنه الامر.

س — وماذا تفهم بعدم مقاومة العنف بالعنف ؟

ج — افهم ان المسيح يطلب من الانسان بشرعته الجديدة ألاّ يقاوم العنف بالعنف بل ان يغلب القوة باللطف والشر بالخير هذا ما عناه بقوله : « اما انـــا فأقول لكم لا تقاوموا الشرير بل من « لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر... » (متى ٥/٣٩). ذلك لأن ديانة العنف خليقة ببشرية مراهقة . اما الآن وقد بلغت مع المسيح طور النضج والرشد فلا يليق بها الاّ ديانـــة التسامح والمغفرة والمحبة .

س – ولماذا اقتصر المسيح في شريعته الجديدة على الناحية الاخلاقية والروحية فقط ولم يعالج الناحية المدنية ويسن تشريعاً مدنياً. ألا يُعَدّ ذلك نقصاً في عمله؟

ج – لقد اقتصر المسيح في شريعته الجديدة على الناحية الاخلاقية والروحية ولم يسن تشريعاً مدنياً لسببين : كي يحترم حريـــة الانسان ولا يفقده ثواب الاعمال وكي لا يقفل باب التطور والرقي امامه .

س – ماذا تفهم بكلمة « كي يحترم حرية الانسان ولا يفقده ثواب الاعمال » ؟

ج – أفهم ان المسيح لم يسن شريعة وضعية كي لا يخلط بين الشرائع المدنية والشرائع الدينية ويدمج السلطة الروحية بالسلطة الزمنية فيقيّد حرية الانسان ويدفعه الى عبادة ربه عبادة العبيد لا الاحرار ، فيروح يصوم مثلاً خوفاً من السجن لا تقرّباً من الله ، ويصبح يصلّي اتقاء السوط ، لا تلبية لحاجة في النفس مُلِحّة فيفسد مفهوم الدين ويضيـــع الثواب . واذا كانت الشعوب الواعية تطالب بفصل السلطة التشريعية عن السلطة القضائية والتنفيذية ضماناً لحريات الافراد فما القول عن وجوب المطالبة بفصل السلطة الروحية عن السلطة الزمنية ابقاءً على حرية المعتقد والعبادة .

س – وماذا تعني بكلامك « كي لا يقفل باب التطور والرقي بوجه الانسان » ؟

ج – اعني ان المسيح لم يسن شريعة وضعية ومدنية لأن الشريعـــة الوضعية روحية كانت او زمنية تهدف الى تنظيم الحياة الاجتماعية وهذه قابلة ابداً التطور والتحول تبعاً لتغيرات البيئـــة والزمان والمناخ كما اشار بحق الى ذلك الفيلسوف مونتسكيو . فلنأخذ

. مثلاً شريعة الإرث . نصَّتْ هذه الشريعة اولاً في بعض البلدان على حرمان الابنة من ميراث ابويها ثم عُدِّلَتْ فمنحتها نصف ميراث الذكر ثم حُوِّرَت فساوت بين الاناث والذكور وكذا قل عن قانون العقوبات وشريعة الصوم مثلاً . لهــذا رأينا السيد المسيح يرغّب بالصوم دون ان يفرض نوعيته وكيفيتــه لئلاّ يفرض على بلدان حارة او معتدلة ما لا تستطيع بلدان باردة ان تمارسه ولا على بلدان تجارية او زراعية ما تأبى البلدان الصناعية ان تطيق احتماله ؛ ولو كان قد سنَّ شريعة وضعية روحية ومدنية لكان قد فرض بيئة ومناخ شعب فلسطين في ذاك الزمان على البشرية بأسرها في جميع الامصار والاقطار والأزمان وحمَّلها احمالاً ثقيلة لا تستطيع اليها سبيلاً ووضع حداً ابدياً الى تطورها وتقدمها ولهذا نراه يصد من اتاه قائلاً : « ايها المعلم قل لأخي يقاسمني الميراث » فيقول له : « من اقامني عليكم والياً ومُقسِّماً » (لوقا ١٢/١٣) . وزد على ذلك ان المسيح كفى القيّمين على شرح تعاليمه شر اختلاق الأحاديث تبريراً لنص شريعة بالية لم تعد تنطبق على مشاكل العصر وفتح باباً للتمشي مع مقتضيات العصر فيقي الأذهــان الجمود ويتيح للشريعة الاندفاع مع حاجات الانسان والمجتمع الذي يعيش فيه.

س — ما كان موقف السيد المسيح ازاء السياسة والسلطات الحكومية ؟

ج — لقد ميَّز السيد المسيح ما بين السياسة والدين وأبان لكل منهما نطاقه وحدوده بكلمته : « اوفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (متى ٢١/٢٢) . ولكنه لم يقطع كل صلة ما بينهما ذلك لأن

رعايا الدين هم انفسهم رعايا الدولة ، فالدين تقوم مهمته بكل ما يختص بمصير الانسان الأبدي في حياته الفردية والعائلية والاجتماعية ، والدولة تقوم مهمتها بتأمين سلامة المواطنين وراحتهم والعمل لأجل تثقيفهم وترفيههم فلا يجوز لرجال الدين مثلاً ان يلقوا سلطانهم على الدولة ويستغلوا سيفها لصالح الدين فالدين ليس بحاجة الأ الى سلاح الحقيقة فقط ؛ ولا يجوز للدولة ان تلقي سلطانها على امور الدين وتتحكم مثلاً بأمور الزواج والاسرة وتحرم الوالدين حق تربية بنيهم كما يشاؤون لأن الولد لله ولوالديه قبل ان يكون للدولة .

س — لكن البشر بحاجة الى شريعة وضعية روحية ومدنية قابلة التحوير والتطوير وفقاً لحاجاتهم العاجلة فماذا عمل المسيح ليسد هذا العوز ؟

ج — كان المسيح ادرى من البشر بحاجاتهم العاجلة ولهذا اسس الكنيسة تلك المنظمة الروحية الجبارة وخولها سلطة التشريع كي تسن مثل هذه الشرائع الوضعية وفقاً لأحوال الزمان والمكان على ان تستلهم في كل ذلك روح الانجيل . ولهذا رأينا الكنيسة في كل عصر ومصر تساعد كل شعب ليس على تثقيفه وتطويره وحسب بل على ايجاد تشريع مدني ايضاً له يتفق وبيئة مناخه .

س — يوجد في شرعة الانجيل وصايا وفرائض ثم مشورات او نصائح فما الفرق بينها؟

ج — الفرق بين الوصية والمشورة هو ان الأولى الزامية بينما الثانية غير الزامية بل اختيارية تعرض على كل من يبتغي اتباع طريق الكمال . ومثل الشاب الغني بالانجيل يوضح لنا ذلك : سأل هذا الشاب يوماً السيد المسيح عما يجب ان يعمله ليرث الحياة

الأبدية فأجابه قائلاً : « احفظ الوصايا ، لا تقتل ، لا تزنِ ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، اكرم ابــاك وامك ؛ احبب قريبك كنفسك » . ولما أكّد له الشاب الغني انه حفظ تلك الوصايا منذ صباه قال له السيد المسيح عند ذاك: « ان اردت ان تكون كاملاً فاذهب وبع كل شيء لك واعطِه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني » (متى ١٩/١٦–٢٢) . وهنا أشار عليه من باب النصح والمشورة لا من باب الوصية والنهي والالزام بأن يعتنق حياة الفقر الاختياري والبتولية اي الحيــاة الرهبانية وان يتبعه اذا شاء . فالحياة الرهبانية اكمل من الحياة الزوجية لكنها اختيارية غير الزامية .

س — ولكن الا تفوق المطاليب الاخلاقية فى شرعة الانجيل طاقة الانسان ؟

ج — كلاّ ! ان المطاليب الاخلاقية في شرعة الانجيل وان تكن صارمة فهي لا تفوق طاقة الانسان . وما خصَّ السيد المسيح انجيله بنفر من الناس لكنه اتحف به البشر اجمعين عــلى اختلاف مواهبهم وألوانهم ومشاربهم ، وهو يعلم انهم رغم ضعفهم قادرون على الاسترشاد بتعاليمه والتخلق باخلاقيته رغم ما فيها من صرامة . وكيف لا يعرف السيد المسيح ضعف الطبيعة البشرية وهو إله ابن الله الذي خلق الانسان من العدم ؟ واذا كان قد أسَّس الكنيسة وزوَّدها بالأسرار فلكي يسعف الانسان على النهوض من كبوته ويسدد خطاه في طريق الكمال ، وهو من قال انه أتى ليدعو الخطأة الى التوبة لا الكاملين وليخلّص ما قد هلك (متى ٩/١١ لوقا ١٩/١٠) . وما التاريخ الا شاهد صدق على ان

الانجيل ما وُجد للخاصة فقــط وكم هذَّب من امم بدائية وكم رفع وقدَّس من اخلاق شعوب غارت في لجج الفساد! يكفي ان نذكر روما وامبراطوريتها التي تأدبت بأدبه بعد ان ناهضته طوال ثلاثة قرون . وما فعله الانجيل في روما وأوربا فعله في اميركا وأفريقيا وآسيا الى ان اصبح الذين يدينون بالدين المسيحي اكثر من مليار نسمة وهو اكثر الأديان ذيوعاً وانتشاراً . وزد على ذلك وقل : ان كانت الحياة الرهبانية على ما هي من صرامة ميسورة على الكثيرين من معتنقيها في المسيحية ويربو عددهم على المليون ونصف المليون نسمة — وهي اختيارية لا الزامية — فكم تسهل ممارسة الفرائض المسيحية العادية على من يرغبون التقيد بها من عامة الناس وذلك بفضل نعمة المسيح المستمدة من الأسرار وبنوع خاص من سرَّي التوبة والقربان .

س — وهل نستطيع ان نقول ان الدين المسيحي طبيعي وسماوي معاً ؟

ج — نعم ان الدين المسيحي طبيعي وسماوي معاً . هو طبيعي لأنــه يحترم ما في الطبيعة من صلاح ولا يصلح الاّ ما فسد فيها من نزوات وميول ؛ وهو سماوي لأن الله انزله ليرفع الانسان اليه تعالى بما يطلبه اليه من سعي وراء الكمال عملاً بقول السيد المسيح : « كونوا كاملين كما ان أباكم السماوي هو كامل » (متى ٥/٤٨) .

س — أما كان بمقدور المسيح ان يتساهل فى شرعة الانجيل بمطاليبه الصارمة من وجهة الكمال اكثر من ذلك ؟

ج — لم يكن بمقدور المسيح ان يتساهل بمطاليبه الاخلاقية الصارمة

من وجهة الكمال اكثر مما فعل ، لأن الدين الذي يدّعي انه سماوي ويتساهل مع الانسان في اشباع ملذات الحواس ولا يطلب منه كل ما يستطيعه في مجال الكمال لا يستحق ان يدعى سماوياً وكيف يُقِرّ الله القدوس ــ دون ان يعطّل كماله وقداسته وبالتالي ألوهيته ــ ديناً يتساهل مع الانسان فيبيح له ارضاء ميوله المعوجة ولا يطلب منه الاّ قليلاً من جهد في مجال الاخلاق في حين هو يقوى على الكثير ؟ كيف يُقر الله ديناً يرضى من الانسان التخاذل في حين هو يقوى على السير قدماً في طريق الكمال وقد قال احد المهتدين الى المسيحية في سالف الزمان ما معناه : « اني تركت ديني لأنه لا يأمرني بكل ما استطيع عمله في مجال الكمال فأنا استطيع ان اعمل في هذا المضمار اكثر بكثير مما يفرضه عليّ ديني . لذلك تركته واعتنقت الدين المسيحي لأنه يفتح لي منفذاً أطلّ منه على الكمال بالذات الذي هو الله » .

س ــ هل أخفق الانجيل برسالته ؟

ج ــ ان كُتيّباً باح الى الناس بأبوة الله ونادى بعنايته ورفقه اللامتناهي الذي حمله على ارسال ابنه اليهم ليصير واحداً منهم ، يسير على حدود طرقهم الضيقة ويخبر اتعابهم ويفتديهم بموته على الصليب فيبعث في النفوس الرجاء بعالمٍ أفضل وهوّن على المتعبين وبشّر بالاخوّة والمحبة والتسامح والرفق والتواضع وحرّر الضمائر من سلطــان الظلم وانتشل الضعيف من براثن القوي المستبد ،

ان كُتيّباً هدمت تعاليمه كبرياء الانسان وقمعت شهواته وحطّمت غطرسته وسارت شعاعاً مطمئناً يعمل في قرارة كل نفس ، فيصقل الخلق وينشئ المدنيات ،

ان كُتيّباً استنفرت تعاليمه جيوشاً من المتصوفين والفتيان والعذارى والشيوخ يفنون الحياة في خدمة الناس اخوانهم فيضمّدون جراح الجرحى ويمسحون دموع البائسين ،

ان كُتيّباً فاقت تعاليمه البشر وحكمته حكمتهم ، فقدّسه الناس وتناقلته الشعوب واستنارت بهديه الأمم ، وأضاءت أنواره كل بقعة من بقاع الارض رغم ما اصاب ويصيب المبشرين به من ضروب العسف والتنكيل ،

ان كُتيّباً تنطبق مبادئه على كل عصر ومصر ومدنية ، فيبقى على جدته رغم جلال القدم يلبّي حاجة النفوس ويفي بما تطلبه الجماعات من نظم ودساتير ،

ان كُتيّباً صارع الفلسفات والمبادئ الفكرية من كل لون وخرج منها ظافراً فبادت وظلّ هو على اشراقه ولمعانه ،

ان كُتيّباً استهدى السُذّج وغذّى عقول الفلاسفة وأثار اعجاب رجال الفكر والفن وقاوم القوة الغاشمة فقوي عليها ولم تقوَ عليه وأوجد « هداة الكون وقادته » على ما قال الفيلسوف برغسون ،

ان كُتيّباً ما برح ينبوعاً ثراً يقبل على الارتواء من زلال تعاليمه كل سنة ما يقارب المليون من العطاش الى معرفة النور ،

ان كُتيباً هذا شأنه ، ليس من صنع بشر ان هو الاّ وحي

من الله ، خالد بخلوده ، ما اخفق ولن يخفق لأنه صنع إله. فهو يحمل طابع الحقيقة المجرَّدة ، طابع السماء .

« والذي أرسلني هو حق والذي سمعته به اتكلم في العالم ... لأن « الأعمال التي أعطاني الآب ان اتممها هي تشهد لي بأن الآب أرسلني » (يوحنا ٢٦/٨ و٥/٢٦) .

فهرس الكتاب

انجزت المطبعة الكاثوليكية في بيروت
الطبعة الثانية من هذا الكتاب في الثلاثين
من شهر كانون الثاني سنة ١٩٦٩

٨٦٤٠-٢-٣٠/ ١/ ٦٩

التوزيع : المكتبة الشرقية - ساحة النجمة
ص.ب : ١٩٨٦ - بيروت، لبنان